

هَذَا نَبِيِّكَ يَا وَالدَّيْ

وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ
وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ

محمود محمد غريب

امام وخطيب جامع البنية ببغداد
والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة
والجائز على كأس الازهر للخطابه ١٩٦٦

توزيع
دار الأنصار

٨١ من البستان ناصية شارع المحور
عابدين - ت ٩٣٤١٥٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وسلام على النبي
المصطفى :

أما بعد :

فهذه السطور ليست كتاباً في السيرة النبوية الشريفة ،
لأن مكتبة السيرة غنية ببهارها الزاخرة عن الندي .
ولسكنها دراسة في العقيدة الاسلامية تكمل الرسالة السابقة

هذه عقيدتك يا ولدي ،

والتي تقبلها القراء قبولاً حسناً ، والحمد لله .

وقد حاولت - في هذه الرسالة - تحليل بعض الأحداث
بمقدار ما يثبت العقيدة ، ويدفع عنها أباطيل الطاعنين وشبهات
الحاقدين على نبي الاسلام وعلى دعوته .

إن العطاء الكبير - الذي قدمه نبي الاسلام ﷺ -



دور النبي

لا حدود له .

// جاء الحياة فأعطى ... وجاهد ... وأنفق .

// جعل غرم الدعوة عليه وعلى آل بيته وعلى المقربين من صحابته

// وجعل غنم الدعوة تركة مشاعة بين الناس .

// أنفق مال السيدة خديجة على الدعوة ،

// وأنفق مال عثمان بن عفان - صهره - على الدعوة .

// فلما شرعت الزكاة حرمها على نفسه وعلى آل بيته .

// وجعل من نفسه وأهله ميदानاً لتطبيق ما يصعب على الناس

قبوله من أحكام الشريعة - فقد زوج زينب بنت جحش -

ابنة عمته - لزيد بن حارثة - العبد الذي تبناه - وما كان

في العرب أسرة تقبل مثل هذا الزواج . ولما طلقها زيد تزوجها

النبي - وهذا أمر في الشريعة أصعب على النفس - لأنها

مطلقة متبناه (١) .

(١) كان العرب يحرمون على الرجل أن يتزوج مطلقة

ابنه من التبني - فلما ألغى الاسلام مسألة التبني أجرى التجوية

الصعبة على النبي أولاً .

وقد حرصت على عمق الفكرة ، وسهولة العرض ، وقوة
البرهان ، وأمانة النقل .

واقه أسأل أن ينفع بها وأن يجعلها في صحيفة عملي يوم
اللقاء . إنه نعم المعطي ونعم المجيب .

محمد غريب

بغداد الكرخ - جامع ومعهد البنية

كتبت المقدمة في الروضة الشريفة

أمام قبر النبي ﷺ

الفصل الأول

حاجة العالم إلى الرسل .

إخفاق العقل البشري في محاولة إدراك ما وراء الطبيعة .

رسول الله تحول الأخلاق إلى سلوك عملي ، وتبليغ

شريعة الله .

إرسال الرسل يقطع حجة المباد على الله .

اللقاء الأول

طاد وائل إلى بيت الشيخ عارف بعد غيبة طويلة قضاهما في شمال العراق حيث جمال الطبيعة ، وبرودة الجو ، وعذوبة الماء .

عاش هناك بين أقوام عكست الطبيعة الجميلة نفسها عليهم ، فاستقام سلوكهم ، وصفت سرائرهم .

ودار الحديث في شوق بين الأستاذ وتلميذه ، وتذاكرا حلو الماضي ، وجمال الأيام .

* * *

وائل : حدثني كثيراً يا فضيلة الشيخ عن الإيمان — ان بالله — من الناحية العقلية — .

وقلت لي : إن الإيمان بالله مسألة فطرية .

ولكن السؤال الذي يشغلني : لماذا أرسل الله الرسل ؟ لماذا

فرض الله علينا اتباع الأنبياء، مع أن الإسلام يحترم عقولنا؟
الشيخ : يا وائل : لإرسال الرسل نعمة عظيمة من الله .

لقد أرسلهم الله ليبلغوا للناس ما يصعب على العقل البشري
أن يصل إليه .

فالعقل البشري يا وائل مهيب . لدراسة المادة ، وعمار
الأراض . وهذا مجاله .

فإذا حاول أن يخترق السكون ليدرك ما وراء المادة فقد
عرض نفسه للخطر .

العقل البشري — يا وائل — كراكب سفينة ، من حقه
أن يسير في داخلها كما يريد . . . ولكن إذا عزم على الخروج
من السفينة إلى الماء فقد عرض نفسه للهلاك .

وائل : لكن بعض الناس يجيد السباحة .

الشيخ : البحر أكبر منهم .

فمن هم الذين يجيدون السباحة يا وائل ؟

هل تعمق الفلاسفة ؟

وائل : نعم . . . لأنهم أصحاب عقول كبيرة ، ويمكّنهم أن
يدرسوا ما وراء البحار .

أعنى بحار المغيبات ، ويمكّنهم أن يصلوا إلى
الحقيقة وحدهم .

الشيخ : هؤلاء الفلاسفة . . .

فماذا يفعل بقية الناس ؟

طبعاً ليس كل الناس فلاسفة . . . يا وائل . . .
وائل : بقية الناس يتبعون الفلاسفة .

الشيخ : أردت أن تفر من الاتباع . . . فوَقعت في الاتباع .
ولسكنك تركت طريقاً معبداً آمناً ، وهو طريق الوحي .

وعزمت على السير في صحراء واسعة . .
ماؤها صرّاب ، وأمانها خوف .

يا وائل .

الصراب لا يروى الظمان .

وائل : تعنى أن انتاج الفلاسفة العقلي سراب
الشيخ : فيما وراء الطبيعة كل فلسفة عقلية سراب .

التجربة تقول هذا . . .

هل سمعت عن أرسطو ؟

وائل : قرأت عنه . . . وقرأت له .

لأنه المعلم الأول .. وهو الذى وضع علم المنطق - الذى
يعصم الذهن من الخطأ فى الفكر - وقد توصل أرسطو
إلى الإيمان بالله عن طريق العقل ..

الشيخ : كل هذا صحيح .

ولكن أرسطو عندما أراد أن يخترق بعقله ما وراء
الطبيعة هوى منهجه ، وتهاافت فكره .

أعد آمن بالله إيماناً رياضياً ، ليصل بهذا الإيمان إلى
تفسير عقلي للحركة الميكانيكية فى الكون .

فإيمانه بالله أشبه ما يكون بالمعطيات الهندسية - التى
يعطيها المدرس للتلاميذ ليتوصلوا بها إلى حل تمرين هندسى

فهو يفترض وجود الله ليحل بهذا الفرض لغز الحركة
الميكانيكية في الكون .

ولم يثبت وجود الله لإثباتاً برهانياً .

وائل : اللهم أنه توسل للحقيقة بطريق أو بأخر .
الشيخ : لا يا وائل . . .

لم يصل أرسطو إلى الحقيقة .

لأنه تصور أن العالم قديم - لم يكن معدوماً ثم وجد -
وتصور أن الله لم يخلق العالم، ولم يحرك فيه ساكناً .

وائل : في قصوره كيف وجد العالم ؟ وكيف تحرك ؟

الشيخ : يعتقد أرسطو أن الكون كان في حالة نخول، ثم
رغب في الحركة فتحرك وحده . . .

وائل : « متعجباً »

هذه فلسفة أرسطو ؟ !

الكون قديم ا - والله لم يخلق العالم ؟ . . . ولم يحرك ساكنه ؟

الشيخ : نعم يا وائل . . .

هذه فلسفة المعلم الاول .

يتصور أن الله كال مطلق ، والعمل - في تصوره - طالب لحدوث شيء ، والله غنى عن الخلق .

وأرسطو يعتقد أن الله - كما إنه لم يخلق شيئاً - فهو أيضاً لا إرادة له .

لأن الإرادة - في تصوره - اختيار أمر من أمرين ، والله غنى عن الأمرين .

أرسطو يتصور أن الله ~~يحيى~~ سعيداً بنعمة بقائه فقط ،

لا علم له بالكون ، ولا سلطان له عليه .

وائل : أرسطو 119

الشيخ : لأنه بشر . . . وعقل البشر مهين . لدراسة المادة فقط لأن فيها حياته .

عبادة اليونان - ياوائل - آمنوا بألهة متعددة - وهم
أرقى الشعوب حضارة فكرية -

إله للخير ، وإله للشر ، وإله المطر ، و . . . و . . .

حتى الخمر . . جعلوا لها إلهاً .

وكانوا يحتفلون بولادة إله الخمر عند ظهور العنب ،

ويقيمون المآتم عندما ينتهي موسم العنب .

وكانوا يمتدحون أن أكثرهم طاعة لإله الخمر هو الأكثرهم

إدماناً لشرب الخمر .

هذه حقيقة العقل البشري ، وهذا إنتاج الفلسفة في عصر

الحضارة اليونانية .

فكيف بمصور الظلام ؟

يدخل هشام ولد الشيخ عارف بطبق فيه عنب .

فيضحكون جميعاً ، وينشغلون بالطعام .

اللقاء الثاني

وائل : كنت أعتقد أن العقل البشري هو كل شيء .
عارف : كل من في سنك يرى عقله وعلمه .
فإذا تقدم به السن يدرك الحقيقة، فيتضاءل أمامه اليوم
ما رآه عظيمًا بالأمس .

العلم كالبحر ، من نزل في أوله يتصور أنه يمكنه أن
يمبره بأمان ، ولكن كلما بعد عن الشاطئ يدرك ضعفه
ويشعر بعمق البحر .
والدنيا بحاجة إلى قوة الشباب ، وحكمة الشيوخ .
وهناك أسباب أخرى لإرسال الرسل .

وائل : لا أظنك تبخل علينا يا فضيلة الشيخ .
عارف : هل تصلح الدنيا بلا أخلاق ؟
وائل : لا

فالأخلاق أمان للمجتمع ، ثمها حب ، وغايتها سعادة .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هموا ذهب أخلاقهم ذهبوا

عارف ~~ب~~ الأنبياء وخدمهم الذين يستطيعون وضع قانون أخلاقي كامل . ويعملون على تحويله إلى سلوك .

فدور الأنبياء لا يقف على تعليم الناس قضية الحلال والحرام ولكنه يتعدى هذا الأمر إلى أمر أجل - وهو تحويل الأخلاق من فكرة نظرية إلى سلوك عملي .

ولولا الأنبياء لأصبحت الأخلاق مجرد شعارات جوفاء وأناشيد تردد في الصباح والمساء .

لقد كان النبي ﷺ - قرآناً - يمشى بين الناس .

كان يهدي بفعله كما يهدي بقوله . حتى كان فعله نموذجاً حياً للإسلام ، وكان فعله تصديقاً لقوله ، لأن الانفصال الذي يقع بين الفعل والقول يبطل الدعوة إلى الخير ، وينهب أثرها .

الإسلام - يا وائل - لا يعرف الأخلاق النظرية ولا يقبل
انفصال الكلمة عن الفعل . قال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، ؟ »
كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ،

وكان النبي يقدر هذا ويعلم أنه أسوة للمسلمين ، ويعلم أن
أفعاله حجة وأنه منظور إليه لذلك كان يتجنب مواطن
الشبه .

فقد مرّ عليه رجلان وهو يتحدث مع زوجته السيدة
صفية في المسجد ليلاً ، فأسرعا ..
فقال لها النبي : على رسلكما .. لأنها صفية زوجتي .

ثم قال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .
غففت أن يقذف في قلبكما شيئاً .

رواه البخاري

* * *

كان للنبى يحول الأخلاق إلى سلوك عملي ، ويضع القدوة للناس .

كان رحيمًا بأمتة ليعلمهم الرحمة ، فقد كان يشعر بألمها ، ويشق عليه ما يشق عليها .

و لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، فعتقتم يشق عليه .
آخر التوبة

وكان يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يفرض على أمتة . أو خشية أن يقلده الناس فيصدق ذلك عليهم . بل كان ينهاهم عن بعض الأعمال التي يعملها هو - كصوم الوصال (١) رحمة بهم .

وقد استطاع - ﷺ - أن يحول قاموس الأخلاق إلى مجتمع أخلاقي ، فاقت واقعيته مثالية الفلاسفة .

(١) صوم الوصال - هو أن يواصل الصوم أكثر من يوم بدون إفطار - وكان النبي يصومه . ونهى أمتة عنه وقال لهم : أبيت يطعمني ربي ويستقيني .

وائل : لكن الضمير الأخلاقي منهج سليم ، وهو نظري في النفس ، فهل يكفي لتقويم السلوك ؟

عارف : الضمير الأخلاقي ، والدعوة إلى الاكتفاء به ، فكرة ابتدعها علماء الغرب لتحل مكان الدين في نفوس الشباب بعد أن عارت أوروبا على الكنيسة ، وأضاعوا سلطانها من النفوس .

وهذا لا يمنع أن الإسلام عرف هذا النداء الداخلي في الإنسان منذ عهد الوحي ، وسماه القرآن «النفس اللوامة» وأقسم بها الله - سبحانه - تكريماً .

ولكن الضمير الأخلاقي لا يعني أبداً الاستغناء عن دعوة الرسل - عليهم السلام -

لأن الضمير - يا وائل - يتأثر بالبيئة التي يتربى فيها .

ولون الثقافة التي يجمعها الإنسان .

والمذهب الاقتصادي والاجتماعي الذي ينتمي إليه .

فالرجل المسلم كم يصغر بالسعادة عندما يقسم تركه ميت
حسب الشريعة الإسلامية .

يعطى كل مصاب بالميت ما يعزیه ويسد بعض
حاجته .

بينما يتألم الرجل الشيوعي عندما يرى تقسيم التركة ،
لأنه لا يؤمن بالميراث ، ويراها تفتيتاً للتركة . (١)

فالضمير يختلف باختلاف المذهب الاقتصادي والاجتماعي
كما يختلف بالعقيدة التي يؤمن بها صاحبه .

والرجل للمسلم يذوب من الأسي عندما يتذكر يوماً
انحرف فيه وشرب كأساً من الخمر ...

بينما لا يتحرك ضمير رجل الغرب لو شرب خمر
الدنيا كلها .

(١) الإسلام عندما يفتت تركه الميت على الورثة فإنه يدفع
كل وارث للعمل ليعيد تسكوين تركه تسد فراغه ،
فهو دعوة للعمل والإنتاج .

فالضمير لا يكفي لوضع منهج أخلاقي ثابت ، لأن
الضمير لشكله باللون الذي نزاح له .
فبمقدار حاجة الدنيا إلى الأخلاق تتجلى حاجتها
لدعوة الوصل .



والناس - يا وائل - بحاجة إلى شريعة الله ، كما جرت
إلى رزقه .

لأن النفس الإنسانية متعددة الملكات ، متعصبة
الفرائض ولا يستطيع البشر أن يضع لها تشريعاً يشبع
كل ملكاتها . فقدار حاجة الناس إلى قانون ثابت
يحكمهم ، ويشبع كل جوانبهم النفسية ، تراهم بحاجة إلى
شريعة الله .

وتجارب التشريعات الأرضية تثبت أن التشريع
الذي يصلح لليوم لا يصلح لغد .

لأن المشرع - من الناس - يعلم ماضى ولا يعلم المستقبل .
فكيف يضع تشريعاً لحل مشا كل الغد - وهو لا علم له بها ؟

كما أنه يضع القانون للجماعة التي تحيط به فقط ، لأن
ما يصلح لرجل الشرق لا يصلح لرجل الغرب ، وهذا
يتناقى مع إقامة مجتمع عالمي يعيش في سلام .

ولا يفوتني أن أذكر لك فارقاً آخر ، وهو أن التشريع
لأرضي يوضع لحكم الناس فقط .
أما شريعة الله فتهدف إلى تربية النفوس وتساميها ،
مع دورها في حكمهم وتأديبهم .

فالمسلم لا يسرق ولو أمن من قطع اليد . لأن الشريعة
مزجت بين المحرمات وبين الخوف من الله . مزجت
بين قطع اليد وبين النكال من الله .

قال تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما
كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . (٣٨ المائدة ،
فلو نجا من القطع فلن ينجو من النكال .

والمقارنة بنحو الشريعة والقانون تعنى المقارنة بين حارس
مسلح ، وبين نصب يضعه الفلاح في الحقل على صورة
رجل لتخافه الطيور فلا تسقط على الحب .

فالناس بحاجة إلى شريعة الله بمقدار حاجتهم إلى شريعة
عالمية المساحة ، خالدة الثبوت ، حية المطام مؤدبة
وحاكمة .

وآل : كنا نعتقد أن العقل البشرى كل شيء وكنا نتصور
أن الشريعة جاءت لفترة ثم أتت أكلها واستغنى الناس
عنها .. فما أحوجنا إلى منهج السماء .

* * *

عارف ، هناك سبب رابع لإرسال الرسل :

وهو تطبيق عدل الله ورحمته بالناس .
إن الله لا يسوى بين الطائع والمعاصي ولا بين أهل الخير
والأشرار .

ولو حاسب الناس في محكمة العدل المطلق - من غير أن
يرسل إليهم رسلا لكان للناس حق الاعتراض .

وكان من حقهم أن يقولوا : ربنا لولا أرسلناك إلينا
رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونغزى ، ١٣١ طه

وائل : هذا صحيح ... فلا جريمة بلا نص .

عارف : من أجل ذلك أرسل الله الرسل ليقطع حجج الناس .
«رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل»
١٦٥ النساء

وائل : لا حجة لنا على الله .

فالرسل شهود علينا ، وكتاب الله بيننا ، ومع ذلك فأنه
قد احترم عقولنا ، لأن الرسل لم تحرم شيئاً يقول العقل
لأنه حلال ، ولم تحل شيئاً يقول العقل لأنه حرام .

آمنت أن تقليد الأنبياء عصمة من الضلال ، ومنهجهم
سلامة من الزيغ . وأستودعك الله على أمل اللقاء .

الفصل الثاني

حاجة العالم الإسلامي في القرن السادس الميلادي

الفرس : الهدى في غير معايدهم .

الروم : ترومت النصرانية . ولم يتنصر الرومان .

اليهود : حملوا التوراة ثم لم يحملوها .

العرب : حاجتهم للرسالة تعدل حاجة العالم كله .

في صباح يوم من أيام الربيع جلس الشيخ عارف بعد
صلاة الصبح يرتل بعض آيات القرآن . بينما انشغلت
بـ ساجدة ، زوجته بأعداد الطعام .

وطرق الباب طارق من الجزيرة ، تناولوا جميعاً ، ودار
حلو الكلام .

* * *

الشيخ : كيف حال الناس في الجزيرة يا شيخ سرحان ؟
سرحان : الحمد لله . نزل الغيث من بعدما قنظوا ، ونشر
الله رحمته .

الشيخ : هذه سنة الله في السكون .
المطر يأتي بعد الظمأ ، والنصر بعد العسر ، والفرج بعد
الكرب . . .

كل هذه نماذج للرحمة الخاصة . .
أما الرحمة العامة — التي أشرق نورها بعد طول الظلام
فهو محمد — ﷺ —

لقد عاش العالم قرونا طويلة يبحث عن النور .

فالمدرس للتاريخ - ياشيخ سرحان - يرى أن القرن
السادس الميلادي ومطلع القرن السابع كان الظلام قد
وصل فيهما إلى كل بقعة في الأرض - وضعف نور
الاديان السماوية فلم تستطع أن تهب الناس هديا
على الطريق .

سرحان : الفرس كانت تعبد النار ، واستولى رهبانها على أرواق
الناس مما جعل عقلاء الشباب يخرج منها ويبحث عن
الهدى في غير معابدها كسلمان الفارسي - رضى الله عنه .

سرحان : فاذا عن الروم ياشيخ عارف ؟

عارف : الروم دخلت الديانة النصرانية وهي محملة بأوزار
الوثنية ، وعقائدها الفاسدة ، والاثناء القذر لو وضعنا
فيه حليباً يفسد الحليب ، فاستطاعت الروم أن تروم
النصرانية ، ولم تستطع النصرانية أن تنصر الروم .

ولو درست مجتمع (نيقية) الذي عقد في عام ٣٢٥ لمعالجة

الخلافات التي ظهرت في الديانة النصرانية بسبب دخول

طوائف وثنية من الرومان واليونان والمصريين فيها .

وقد ناقش هذا المجمع قضية الوهية السيد المسيح ، وبعد صراع طويل يمكن أن تقرأه في كتب تاريخ الرومان .

استطاع المجمع أن يتخذ أول قرار بالوهية المسيح بعد أن كانت المسيحية ديانة توحيد لمدة ٣٢٥ سنة .

* * *

وفي عام ٣٨١ اتخذ القرار الثاني بالوهية روح القدس في المجمع القسطنطيني وأصبحت الآلهة ثلاثاً بعد أن كان المسيح يدعو إلى التوحيد الخالص .

فالديانة النصرانية الجديدة لم يصبح لديها من القدرة ما تضى به الناس الطريق .

راجع محاضرات في النصرانية لأستاذنا الكبير (محمد أبو زهرة) ص ١٢٩ ، ص ١٥١ .

اليهود :

حملوا التوراة ... ثم لم يحملوها .

كافروا بتوصيل النور إلى الناس فاطفأوا مصابيح
قلوبهم ، لماذا يمكن أن يقدموا للناس ؟


حرفوا من دينهم ما لا يتفق مع مصالحهم الوضيعة .
وشوهوا صورة أصحاب الرسالات — من الأنبياء
الكرام — ليطلوا جانب الأسوة والمثل الأعلى .

كاجعلوا البيع مثل الربا . وفر رجال الدين من معايدهم
ليسيروا في الركب المادي بعد أن فلتت القيادة من
أيديهم .

ولم يبق لهم من دين الله إلا اشعارات كاذبة استباحوا بها
دماء الناس وأموالهم .

فاليهودية أيضاً عجوت عن منه العالم بشماع من نور الله .

سرحان : والعرب يا شيخ عارف ؟
لمذا لم تتكلم عنهم ؟

عارف : العرب حجبهم عن الهدى السماوي البعد المسحيق بين
ابراهيم - عليه السلام - وبين محمد  - والذي يقدر
بآلاف السنين .

سرحان : لكن سلسلة من الأنبياء بشرا في وسط هذه المدة
موسى وداود وسليمان وعيسى وغيرهم .

عارف : هؤلاء جميعاً بعثوا لبني إسرائيل فقط .
فدعوتهم خاصة بأقوامهم .

د وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعملون
أني رسول الله إليكم ،
ه الصف

فرسالة موسى لقومه فقط - وكذلك رسالة المسيح :
د وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله
إليكم ،
٦ الصف

أما العرب فقال عنهم القرآن : « لتتذروا قوماً ما أتاكم
من فذير من قبلك ، ٤٦ القصص

لتتذرو قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ، ٦ ياسين

لقد كانت الأمة العربية أسوأ العالم حالاً ، وأحوج له إلى
رسول .

لقد عبدوا الحجر ، وأكلوا القذر ، وسفكوا الدماء ،
ووأدوا البنات ، وابع الخمر بعقولهم ، فاستعبدوا
الأحرار ، وأكلوا القمار ، واستباحوا الربا ، فماذا
بقي لهم ؟

يا ضيخ سرحان : لقد كان العالم كله بحاجة إلى نبي يخلصه
من الضلال ، وينقذه من الهاوية .

وكانت حاجة الأمة العربية وحدها كانت تعدل حاجة
العالم كله . فمن الناحية الدينية :

سجد الإنسان للصنم - الذي صنعه بيده ، وطلب منه
جلب الخير ودفع الضر ، مع أن الأبواب إن يسلب آلتهم
شيئاً لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب .

سرحان : وأين ما ورواه من دين إبراهيم ؟
حارف : لم يبق منه سوى بعض الشعائر - التي خلت من الروح
وأفسدها البدع .

وحسبك أن تعلم أن الحج تحول إلى تعظيم للأصنام ،
وإن الطواف بالبيت كان يتم وهم عرايا .

الشباب عرايا ، والنساء عاريات ، وتحولات التلبية إلى
تصفيق وتصفير ، وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء
وتصدية . . .

٣٥ - الأنفال

كيف تصفوا الروح في جو من التصفيق والخز والنساء للعاريات ؟

* * *

والجانب الاقتصادي لا يقل سوءاً عن الجانب الديني .

لقد جاور العرب اليهود ففعلوا منهم الربا . وبالغوا فيه
فأكلوه أضغافاً مضاعفة حتى كان المدين يباع مع آتة حر وذلك
من أجل سداد دينه .

ونشأ عن سوء الأحوال الاقتصادية عملية الإغارة على الأمنين
وسلب أموالهم ، واستعباد ضعفانهم .

وفي جو الرعب والقلق تنشر الخمر التماسا للمسكينة، ولكنها
علاج لاداء بالداء . فقد قلبت موازين الامور وهونت الفحشاء .
على النفوس فظهرت تجمرة الجسد .

روى أن جماعة سقوا امرأة خمرأ فلما لعبت الخمر برأسها
سألتهم : أتشرب لناؤكم من هذا الشراب ؟

قالوا : نعم .

قالت المرأة : والله إن أحدهم لا يدري من أبوه . إن الخمر
تحسن القبيح وتقمح الحسن .

قال أبو النعمان :

اسقني صرفا حميا ترك الشيخ صبيا

وتريه الغي رشداً وتريه الرشداً غيا

فساد العقيدة دفعهم إلى الربا .

وهموم الربا دفعتهم إلى الخمر .

وإدمان الخمر جر عليهم الباقي من البلاء .

لذلك كان كل شيء يؤكد الحاجة إلى نبي جديد .

الفصل الثالث

- العالم بحاجة إلى نبي .
- الكتب المقدسة وتبشيرها بهذا النبي .
- أخلاق محمد - ﷺ - ترشيحه لأمر عظيم .
- السيدة خديجة استدلّت بأخلاق النبي على نبوته .
- هرقل : لو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

هشام : كنت استمع إلى القرآن الحكيم ووقفت عند قوله
تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم - وإناك لعلى خا عظيم .

لماذا لم يقل القرآن : إن خالقك لعظيم .

الأب : كلمة (على) تفيد الاستعلاء والتمكن .

فيكأن النبي تمكن من الأخلاق كما يتمكن الفارس من
الفرس .

وهو يحكمها بفطرته ، بينما الأخلاق تحكم غيره من الناس
لأن النبي تبدأ كالاته النفسية من حيث ينتهي قانون الأخلاق .

هشام : تعنى - يا أبى - أن النبي يوجه الأخلاق إلى حيث
يريد ؟

الأب : أجل يا هشام .

لقد ابتدأ النبي رحلته الأخلاقية من حيث انتهت المكارم
الإنسانية ، وذلك ليتمم مكارم الأخلاق :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ،

هشام : لكننى أعلم أن كل نبى على خالق عظيم .

فكيف يتسم النبي مكارم الأخلاق؟

الآب : لقد عدت مدة طويلة لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال، حتى فتح الله على بفهم للموضوع أشرحه لك .

• • •

السيد المسيح - عليه السلام - طالج قضية الأخلاق واهتم بها . ورسم منهاجاً تهذيب أتباعه فقال لهم :

أحبوا أعداءكم . وباركوا لاعينكم ؛ وأحسنوا إلى مبغضيكم
وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .

إنجيل متى ٤٤/٥

وقال : وإذا ضربك رجل على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر .

وهذه الوصايا خلق عظيم ، ولكنها أخلاق مثالية وليست أخلاقاً واقعية . . . لأن كثيراً من الناس لا يقوى على تنفيذها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ليس كل الناس بدرجة واحدة من السموات جعلهم يستحون ويرتعدون لو أدرنا لهم الخد الأيسر . هناك بعض النفوس لو أكرمتها ملكتها .

وإن عفوت عنها كان عفوك عن خطيئهم أشد عليهم من السياط

وإذ كان هناك بعض النفوس إن أكرمتها فسدت ، وإن
عفوت عنها طمعت فيك ، وإن رفعتهم إلى السماء سدوا باب
السماء عنك ، وهذا الصنف الحقير لا يصلحه أن تدير له الخد
الأيسر كما قال السيد المسيح ، بل يصلحه أن تؤذيه .

يحكى في الأدب الرمزي — أن رجلا اشترى صنما وعذف
على عبادته ، وترك تجارتها وزراعتها .

فلما أصابه الفقر ، وضائق به الحياة ، قام على الصنم فدق
رأسه وهشمها .

// فلما كسر رأس الصنم وجد به كزامن الذهب أودعه فيه أحد
ثلاث ثم مات .

فقال الرجل لصنمه :

// ما الأملك .. أكرمتك فأفقرتني ، وحطمتك فأغنيتني ؟
هذا الطراز الحقير من النفوس لا يصلح معها ، ولا يصلحها
قانون المثالية .

ولكن يصلح معها بل ويصلحها قانون العدل .

يصلح معها قوله تعالى : وإن عاقبتم فاعقبوا بمثل ما عوقبتم به . وإن صبرتم لهو خير للصابرين ، ١٢٦ النحل

وقوله تعالى : ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، ٤١ الشورى

فالإسلام جعل القصاص من الظالم - بالطريقة المشروعة - لون من الاخلاق ، مع عدم إهماله الترغيب في العفو .
فن عرفنا أن العفو يصلح نفسه ويهدبها فالعفو عنه أفضل .
ومن عرفنا صفاقة وجهه ، وقبح سيرته - من الذين يفهمون أن العفو عنهم ضعف أو خوف منهم - فالعدل معهم أفضل ، وربما يجرم القصاص .

فالإسلام حول الاخلاق من مثالية فلسفية ، إلى واقعية عملية لتشمل كل الناس ، وتعالج ضفاف النفوس .
وهذا معنى كون النبي - ﷺ - بعث ليتم مكارم الاخلاق فقد وسع دائراتها ، وعم عطاءها .
يا هشام . . هذه الآية الكريمة « وإنك لعلى خان عظيم »

تعتبر أصلاً كريماً من أصول الدين .

إنها تؤكد صدق نبوة محمد - ﷺ -

إنها ليست مجرد امتداح لأخلاق النبي . .

ولكنها نزلت في الأيام الأولى من الوحي لتسوق دليلاً

عقلياً على نبوة محمد ﷺ .

بل لعل هذه الآية هي أول دليل ساقه القرآن إلى العقل

البشري لإثبات صدق النبي . فقد نزلت بعد سورة المزمل -

أى في الأيام الأولى من الوحي .

هشام : ما علاقة الآية الكريمة بإثبات نبوة سيدنا محمد ؟

الآب : الأمر سهل . إن شاء الله .

الآية تقول للمشركين : أنتم تعرفون محمداً قبل يوم ، افراً

باسم ربك ،

وتعرفون أنه على خلق عظيم - بشهادتكم له قبل الرسالة -

وأول ما تفرضه عليه أخلاقه العظيمة أن يكون صادقاً . وأنتم

شهدتم له بالصدق - بل سمعتموه صادقاً .

و" صادق إذا أخبركم باصطفاء الله له لما إذا تكذبونه ؟

لقد تناقضتم مع أنفسكم . عندما كذبتم محمداً .

هشام : أظنك يا والدي أول من استدل بأخلاق النبي
على نبوته ؟

الآب : لا يا هشام .

لقد استدلك السيدة خديجة - رضی الله عنها - بأخلاق
النبي على نبوته .

فعمدما نزل الوحي لأول مرة على النبي - ﷺ -

ذهب النبي إلى خديجة خائفاً يقول لها :

زميليني وذرمانى . . .

فلما ذهب عنه الروح قال لخديجة : لقد خفت على نفسي .
وهنا تجلى ذكاء السيدة خديجة ، ودار بخلد ما حيا للنبي الطويل
- الذي عاشته معه - وأخلاقه الشريفة - التي لمستها عن قرب -
بل التي كانت سبباً في زواجها منه .

عند ذلك قالت له : أبهر فوائقه إن يخزيك الله أبداً .

لأنك اتصل بالرحم . . .

وتصدق الحديث . . .

وتحمل الكل ..
وتكسب المعدوم ..
وتقرى الضيف ..
وتعين على نوائب الدهر

مقدمات ثابتة توصلت بها إلى للبشارة الصادقة ، ان يفتريك
الله أبدأ .

وقدمت البشارة على المقدمات لتمجيد البشرى .
أو هو الاستدلال العقلي الراجح بأخلاقه الشريفة على
إكرام الله له .

فالسيدة خديجة هي أول من استدلت بأخلاق النبي - ﷺ -
على نبوته .

* * *

ومن الذين استدلوا بأخلاق النبي على نبوته أيضاً دهرقل ،
ملك الروم -

هشام : وماذا كان من أمر دهرقل ؟

الاب : زار أبو سفیان بن حرب الشام - قبل إسلامه -
واستضافه هرقل ، وسأله عن النبي الذي ظهر في بلاد العرب .

هرقل : هل كان ابن ملك ؟

أبو سفیان : لا

هرقل : لو كان ابن ملك لقلنا إنه يريد أن يعيد ملك آبائه .
وسأل هرقل :

هل يكفر أحد أصحابه بعد أن يؤمن به ؟

أبو سفیان : لا ... لأنهم يريدون دائماً ...

هرقل : هل كان يكذب في شبابه ؟

أبو سفیان : لا .. لقد اشتهر بالصدق الأمين .

هرقل : والله .. ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذب
على الله . واثن كان ما تقول حقاً فهو نبي . وسوف يملك مكان
قدمي هاتين .

كنت أعلم أن نبياً سيظهر .. واسكن ما كنت أعلم أنه منكم
ولو كنت أعلم أن قومي يتركونني أذهب إليه لتعشمت عناء
السفر لزيارته .

ولو كنت عنده لفعلت عن قدميه .

هشام : وهل أسلم هرقل - يا أبى - ؟

الأب : لا يا هشام . . .

لقد خشي ثورة الرومان - ومات على دينه .

* * *

هشام : ولكن كيف عرف هذه الأسماء ؟

الأب : هرقل كان نصرانياً ، وكان على علم بالكتب السماوية ،

وكان يعلم - نتيجة دراسته لهذه الكتب - أن نبياً سيظهر ، وأنه سيرث الأرض ، وأنه خاتم النبيين .

هشام : هذا موجود فى كتبهم ؟

الأب : وأكثر من هذا موجود فى الكتاب المقدس ، ولكن

يد المترجمين لمبت دوراً خطيراً فى طمس البشارات .

اقرأ يا هشام كتاب د عقائدنا ، للدكتور محمد الصادق ،

وكتاب د نبوة محمد من الشك إلى اليقين ، للدكتور فاضل صالح

السامرائى ، وكتاب د إظهار الحق ، للمسيح رحمة الله الهندي ،

وكتاب هداية الحيارى من اليهود والنصارى ، الإمام ابن قيم
الجوزية ، وكتاب ه محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ،
للأستاذ إبراهيم خليل أحمد والتي أسلم وأصبح عضواً في مجمع
البحوث الإسلامية بعد أن كان قسيساً .

اقرأ - يا هشام - فالكتاب أستاذ أمين

هشام : فإن لم يصبها وإبل فطل ..

الأب : أحسنت الطالب يا هشام .

لقد بشرت التوراة بنبينا محمد ببشارات عديدة اختار لك
بغارة واحدة منها .

جاء في سفر التثنية إصحاح ١٨ قول الله لموسى عليه السلام :
أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم ، مثلك ، واجعل كلامي في فمهم
فيكلمهم بكل ما أوصيه به .

وواضح من هذه البشارة أن النبي الذي سيرسله الله ليس من
بنو إسرائيل لأنه لو كان من بني إسرائيل لقال الله لموسى : أقيم
لهم نبياً منهم .

وأبناء إسماعيل هم إخوة أبناء يعقوب وأبناء عمومتهم .
وفي البشارة إنه نبي مثل موسى - أي صاحب شريعة كشرعية موسى -

وهذا الوصف لم ينطبق على أحد بعد موسى إلا على محمد -
- **صلى الله عليه وسلم** - والتوراة تشهد بهذا في سفر التثنية لإصحاح ٢٤
فقول: ولم يقم بعد ذلك من بني إسرائيل مثل موسى .

// الوصف الثالث في البشارة أن النبي **صلى الله عليه وسلم** - الذي سيرسله الله -
يتلقى الكلام في فمه وذلك لأنه لا يقرأ وهذا (١) واضح في نبينا
محمد - **صلى الله عليه وسلم** -

أما الإنجيل فقد بشر بنبوة محمد **صلى الله عليه وسلم** . جاء في إنجيل يوحنا
أن السيد المسيح قال لتلاميذه .

أنا أسأل الأب (٢) فيمطيكم (بارقليط) آخر ليقم بينكم
إلى الأبد .

هشام : ماذا تعني كلمة (بارقليط) ؟

(١) راجع نبوة محمد للدكتور فاضل السامرائي ص ٢٥٢

(٢) الأب - بالمذكية يونانية معناها الخالق وليس معناها

الوالد لأن الأب بمعنى الوالد مقصورة وليست ممدودة .

الأب : يمكن أن تفهم معناها بتوسيع لو قرأت كتاب
رسول الله في الكتب السماوية ص ١٥٤ ، وكتاب قصص
الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار .

ولكن تحت يدى الآن حوار لطيف جرى بين الأستاذ
فتحى عثمان وبين الدكتور كارلو ، أستاذ الأدب اليونانى القديم :

فتحى : ما معنى كلمة « بارقليط » التى ذكرها الإنجيل
- يا دكتور كارلو ، ؟

الدكتور : رجال الدين المسيحي يقولون : إن معناها
« المسلى أو المعزى »

فتحى : لكننى أسأل الدكتور كارلو ، أستاذ الأدب
اليونانى القديم ، فإذا تقول أنت . . ؟

الدكتور : أقول : بارقليط - ترجمتها - الذى له حمد كثير .

فتحى : يعنى معناها أفعال تفصيل من كلية الحمد .

الدكتور : نعم . . . هى كذلك .

* * *

الآب : أذكر يا هشام افعل التفضيل من كلمة - علم وكرم
وحلم .

هشام : أعلم وأكرم وأحلم .

الآب : وافعل التفضيل من كلمة - حمد ، ؟

هشام : - حمد ،

الآب : كلمة « بارقليط » ترجمتها الحرفية « احمد ، وهذا
سر عبارة القرآن الكريم على لسان عيسى - عليه السلام -
« ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، » - الصف
وهذه دقة عجيبة في بشارة القرآن بمحمد صلى الله عليه وسلم - مع أن النبي
لم يدرس الأناجيل ، ولم يدرس الترجمة .

هشام : إنه وحى السماء . . . أشهد أن هذا القرآن من عند الله
ساجدة : أرهقت والدك يا هشام ، وأخذت حقنا وحقك ،

لم تشبع ؟

هشام : يا أمي طالبان لا يشبعان : طالب العلم وطالب المال .

ساجدة : الأفضل يا ابني هشام أن يتم الحديث في المساء

لنستفيد جميعاً .

هشام : دائماً رأيتك سعيد يا أمي .
الآب : وأنا يا هشام ؟ ويضحك الآب ،
هشام : أعظم دليل على إصابة رأيك ، وعمق بصيرتك هو
اختيارك لأمي زوجة لك ، ومربية لأولادك .
الآب : أيضاً هذا مدح لأمك يا هشام - أكرمك الله -
يضحك الآب ويضحك الأسرة

* * *

وفي المساء اجتمعت الأسرة على حب وحناء ، وواصل الآب
من الحديث ما انقطع .

ساجدة : يحضرنى سؤال حول الآية الكريمة « وإنك لعلى
خلق عظيم ، » .

لماذا لم يبدأ القرآن بمدح عقيدة النبي أولاً ، ثم شريعته ،
ثم أخلاقه .

لماذا بدأ بالأخلاق ؟

عارف : يا ساجدة ، العقيدة السليمة تدفع صاحبها للعمل
الصالح . لأن العقيدة بلا عمل لونها من الإيمان العقيم . وقد

رفض القرآن دعوة الأعراب - عندما ادعوا الإيمان وواقفهم
بأنني مع حقيقته (*)

(*) ذكر القرآن واقع الأعراب - وهم سكان البادية - فقال
عن عقيدتهم : « الأعراب أشد كفراً ونفاقاً ، ٩٧ التوبة
وقال عن كراهيتهم للزكاة : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق
مغرمًا ، . وقال عن كرمهم للجهاد مع رسول الله ﷺ وجاء
للعنرون من الأعراب أيؤذن لهم ، . وقال عن جهلهم بكتاب
الله وشريعته : « وأجدروا ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على
رسوله ، . وقال عن وضعهم الاجتماعى فى ظل الدولة . « ومن
حوالكم من الأعراب منافقون ،

كان هذا حالهم حتى السنة التاسعة من الهجرة - وهى السنة
التي نزلت فيها سورة التوبة - التي فضحتهم - لذلك رفض القرآن
دعوات الإيمان . لأن الإيمان سلوك وطاقة . قالت الأعراب
أنا . . . قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا . . . ولما يدخل
الإيمان فى قلوبكم ، .

١٤ الحجرات =

• • • • •
= رفض إيمانهم ، ودجهم في صفوف المسلمين فقط على أمل
انطباعهم ، لما يدخل الإيمان في قلوبكم ، وكلمة لما تفيد
عدم حدوث الشيء في الزمن الماضي مع توقع حدوثه
في المستقبل . فلا وزن لإيمان عقيم لا ينبج سلوكاً عملياً .

ولا يفغيب عن القاريء الكريم أن الأعراب هم أول من ارتد
بعد النبي ، وذلك لعدم تمكن الإيمان في قلوبهم بسبب بعد
سكنهم عن مسجد النبي . وحرمانهم من توجيهاته وتربيته -
التي حظى بها أصحابه فأصبحوا مشاعل على الطريق .

ولأن حياتهم كانت تعجيب لهم العزلة والتحرر من الارتباط
بالدولة .

وناهيك بجفوة قلوبهم وغاظة البادية التي جعلت السماء لا تختار
منهم نبياً أبداً لأن النبوة عطاء ورحمة .

وهذا لا يمنع وجود عناصر إيمانية كريمة في الأعراب =

يا ساجدة . . الإيمان سلوك . . فن كمل إيمانه خشع لله قلبه
والترزم منهجه في العبادة ، فإله لا يعبد إلا بما شرع .
فالعقيدة الصحيحة تولد عبادة كاملة .

عناها القرآن بقوله تعالى : « ومن الأعراب من يؤمن بالله
واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله . وصلوات
الرسول ألا إنها قرابة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور
رحيم .
٩٩ التوبة

وما ارتد عن الإيمان بعد النبي إلا الذين قالوا بأفواههم
ما ليس في قلوبهم ، ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم . ورحم
الله أبا بكر . فقد أعاد الإسلام هيئته عندما أدب الأعراب
والمنافقين وأخضعهم لدولة القرآن . وذلك بحروب الودعة -
التي سبقت فيها أحد عشر جيشاً في وقت واحد .

وأبو بكر هذا العمل يعقب أول قائد يفتح أحد عشر
جبهة قتالية في وقت واحد ومع ذلك يستطيع أن
يحقق النصر .

والعبادات الكاملة تهذب الأخلاق وتزكّيها .
« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها ،

١٠٢ التوبة

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ٤٥ العنكبوت
« فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، ١٩٧ البقرة
فالعبادات مدرسة عملية للأخلاق .

فمن كملت أخلاقه فقد كملت عباداته وصحت عقيدته .

والحاصل على الدكتوراه لا بد أنه حصل على ما قبلها من
الدراسة وتفوق فيها .

فانه - سبحانه - عندما امتدح أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد
أثنى على دينه وخالقه .

العقيدة الصحيحة توصل إلى ~~الأخلاق~~
العبارات المرئية

والعبارات توصل إلى الأخلاق
العالية

فمن ملك أخلاقه فقد ملك
عبارته وعقيدته .
١٥٦

الفصل الرابع

• المستشرقون ومنهجهم في السيرة
• محمد المثل الكامل للانسان

« فيلب حتى »

• كل مصادرنا تجمع على طهارة خلق محمد

« وليم ميور »

• لقد امتزجت المدالة والوحمة في نفس محمد

« فغليري »



• كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية وخطره على الشباب
• « نيوجين » أعماه الحق على نبي الاسلام

في غرفة المكتبة جلس الشيخ عارف على مكتبه ، جلس بين
الكتب ليربط فكره بفكر الآخرين ويستمتع بمواهب المكتبة
العربية والإسلامية . وفي عمق الدارس ، وذكاء المرء ، وبصيرة
الداعي يمر الوقت خفيفاً خفة النسيم .
ما أجل الكتاب .

جليس لا يمل ، ومرشد لا يهن بمطائه .
ودخلت - ساجدة - زوجة الشيخ ودار هذا الحوار :

. . .

ساجدة : « تبسم ، وتقول للشيخ عارف : لقد بدأت أثار
من الكتب كأنك متزوج بثلاث نساء غيرى .

عارف : كل رجل عبقرى خلفه امرأة عظيمة .

ساجدة : تعنى أنك عبقرى ؟

عارف : لا . . . بل أعنى أنك عظيمة . . .

ساجدة : لاني أحب الكتب لانها بستان ، وثمار قراءتك
ينتفع بها الجميع ، وانت لا تستطيع أن تطعم أو تكسو كل
أصحابك ولاكنك تستطيع أن تهيم السعادة بالكلمة المؤمنة .

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

• يدق الباب ويحضر وائل يحمل حقيبة من الكتب ، ودار
حوار طويل ،

وائل : انشغلت في هذه الأيام بالقراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم
عارف : أحسنت يا وائل .

يجب على كل مسلم أن يدرس سيرة النبي الكبير وأصحابه ،
وذلك ليجعل من حاضره امتداد لعظام الأمة .

والأمة التي تنسى عظامها ، وتحاول عزل نفسها عن ماضيها
مثالها كمثل رجل فقد ذاكرته فهو لا يدري من أين جاء ، ولا
أين يذهب . أو هي كلقيط مقطوع الذنب لا يعرف أصله .
إن الإنسان يمتاز على الحيوان بدراسة التاريخ .

فالغار يموت في المصيدة التي مات فيها أبوه . .

وثبتى نفس المصيدة لئلا تقبل الأجيال الجديدة .
إدرس التاريخ فإنه مدرسة . .

ولملك تخيرت الأساتذة الذين قرأت لهم .

وائل : كلهم من كبار مفكرى الغرب .

لأننى أحب منهج علماء الغرب فى الكتابة لما لهم من سعة
اطلاع وحياضية علمية .

عارف : كنت أود أن تعرف الحق من أهله أولا . . ثم
تقرأ ما شئت بعد ذلك ولئن شئت . .

وائل : اطمن يا شيخ عارف . . إنهم منصفون .

لقد قرأت للدكتور د فيليب ، قوله :

« لقد تركت أعمال محمد اليومية وسلوكه فى الأمور الخطيرة
والبسيطة ، أبعد الأثر فى النفوس ، بحيث أصبحت قدوة
يقتدى بها الملايين إلى يومنا هذا .

ولم يحدث أن اعتبر شخص واحد - عند أى طائفة من
طوائف الجنس البشرى - المثل الكامل للإنسان فقلدت أفعاله

بمَشَى الدقة كما حدث لمحمد ،

« تاريخ العرب » دكتور فيليب حتى ص ١٩٦ ،

وهذا غاية الإنصاف من كاتب لا يؤمن بالإسلام .

• • •

وقراء للعالم « وليم ميور ،

تجمع كل مراجعنا التي - درسناها - على طهارة محمد وأنه
صورة نادرة بين أهل مكة بسبب ما وهب من عقل راجح ،
وذوق دقيق ، وعمق في التأمل .

« الفكر الخالد لمحمد على ص ٢٠ ،

عارف : جميل يا وائل . .

ولكن ما رأيك في كلام « وليم ميور ، الذي ذكرته ؟
وائل : إنصاف عظيم لأخلاق النبي - ﷺ - لقد قال
عن النبي :

عقل راجح ، وذوق دقيق ، وعمق في التأمل . .

عارف : هل لاحظت يا وائل أنه نسب عظمة النبي إلى

عبريته ولم يشر إلى النبوة .

لأنه يصور النبي على أنه مجرد مصالح اجتماعي أو فيلسوف .

والفارق بين النبوة والمبقرية كبير . .

والنبي — صلى الله عليه وسلم — قد جمع بينهما .

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » ١٢٤ الانعام

وائل : سبحان الله .

لقد ظاب عن هذا الأمر .

. . .

لكنني قرأت للعالمة « فاعليري » ، في كتاب دفاع عن

الاسلام ص ٢٣ : قولها :

لقد كان محمد شديد التسامح ، وبخاصة مع أتباع الأديان

الموحدة لله .

وهو ملتزم بمبدأ « لا إكراه في الدين » ،

لقد امتزجت العدالة والرحمة في نفسه .

هذا كلامهم يا شيخ عارف .

فاذا تريد من كتاب الغرب أعظم من هذا الوصف ؟

عارف : لا تريد منهم شيئاً .

ولكن تريد منك ومن الشباب المسلم أن يعرف منهم علماء
الغرب .

أقد وضعوا خطة خبيثة في كتبهم عن الإسلام . وفي سيرة
النبي بالذات .

وائل : خطة خبيثة ؟

عارف : نعم . . كل شيء في الغرب مدروس ، ويسير
على خطة .

لأنهم يكتبون ألف كتاب عن النبي .

كل كتاب يحتوي على مائة صحيفة مثلاً .

يحاول السكاتب أن يمدح النبي في تسع وتسعين صحيفة ،

ويضع نقطة السم في صحيفة واحدة .

فامتداحهم للنبي يروج الكتاب بين المسلمين .

ويشعرهم بأنهم أمام كاتب محايد يتحرى الحق فقط .

كما يجعل العقل يتقبل نقطة السم ولا يشعر بمذاقها .

يا وائل .. إن نقطة السم لا يظهر طعمها في طبق للعسل .
ولكن فعلها في المعدة لا ينكر .

فإذا طعن كل كاتب في جانب واحد من حياة النبي فإن
بمجموع كتبهم كفيّة أن تدوه الإسلام، وتفسد سيرة نبيه .

وائل : هكذا يفعلون يا فضيلة الشيخ ؟

الشيخ : وأكثر من هذا يفعلون .. والمسلمون في غفلة .
يا وائل .. لقد ظهرت بمجموعة من الكتب يدعون فيها المستشرقون
أنهم يبذلون جهوداً كبيرة، وينفقون أموالاً واسعة في سبيل
التبشير بالنصرانية - في أفريقيا وآسيا - ولكنهم يواجهون
مشكلة صعبة تموق رسالتهم - هذه المشكلة في ادعائهم هي
أن الإسلام ينتشر وحده - في هاتين القارتين - بدون أي
جهود من المسلمين .

وهذه كلمة حق يراد بها باطل :
واائل : أى باطل فى هذه الشهادة العظيمة - التى تبشر بكل
خير ؟ .

طarf : يا وائل : الأمر أخطر مما تصور . بل مما
يتصور كثير من المسلمين عندما يفرحون بهذا الكلام ويرددونه
فى مقالاتهم وعلى بعض المنابر .

إن المبشرين يهدفون - من وراء هذه الحركات المعسولة
إلى تقاعد المسلمين وتخديرهم .

فإدام الإسلام ينتشر وحده - كما يقول المبشرون - فما
هو الداعى لهجرة الدعاة وإتفاق الجهد والمال ، فى سبيل نشر
الإسلام فى هذه البلاد ؟ ؟

لقد تقاعد المسلمون ، وتكاسل الدعاة ، وانصرفت كثير من
الهيئات الاسلامية عن رسالتها .

انصرفت إلى خلافات نظرية ، ومعارك فكرية يعلم الله
أن الاسلام لا ناقة له فيها ولا جمل .

لقد نامت الأمة الاسلامية فى النور .

بينما استيقظ اعداؤها في الظلام وجدوا السير .

إن واقع المسلمين اليوم - كصاحب في حادث نقل إلى غرفة
للعمليات لاسعافه فظل من حوله يقلبون أظافره ويمشطون
شعره - والمصاب يحتضر .

الغرب يخدعنا يا وائل :

وسوف أثبت لك صحة فهمي لكتابات المستشرقين .

~ * ~

هات كتاب (حضارة الاسلام) واقراء ص ١٣٤ اقرأ في
مرك . . فانا لا احب أن أسمع .

واحكم أنت على ما تقرأ .

« يقرأ وائل وتبدو عليه علامات الاستغراب »

وائل : عجباً . . . أين الإنصاف - الذي يدعيه علماء

الغرب . ؟

وأين الحياد ؟

لأنه يدعي أن المسلمين نسبوا إلى النبي بعض المهجرات المسيحية
والبوذية ليشبهوا رغبة العوام .

بل يدعى أن النبي نفسه كان ينسب إلى نفسه هذه المعجزات
ليخرج نفسه من طبيعته البشرية . كي يظهر في صورة
الأنبياء .

عارف : عجباً يا وائل . . الأمور الخارقة للعادة - المعجزات -
إن نسبت إلى البوذية يعتبرها المؤلف حقائق ثابتة -
مع أنه لا يؤمن بالبوذية - وإن نسبت إلى نبي الإسلام -
وثبتت نسبتها تاريخياً - يعتبرها « جوستاف » خرافة
وأساطير .

لأنهم يكرهون الإسلام يا وائل .
ولو كلف « جوستاف » نفسه أن يدرس شيئاً عن موقف
نبي من الأمور الخارقة للعادة لعلم جهله الشديد بهذا
النبي العظيم .

لعلك تذكر يا وائل يوم وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ -
قد صادف خسوف الشمس .

وهذه ظاهرة طبيعية يمكن أن تحدث في أى وقت .
ولكن بعض الصحابة ربط بين هذه الظاهرة وبين موت

إبراهيم — عليه السلام —

وقالوا خسفت الشمس لموت إبراهيم .

قالوا هذه الحكمة عزاء للنبي .

ومقام العزاء يتسع لمثل هذه المجاملات .

أو قالوها اعتقاداً بصحتها .

وكان النبي — ساعتها — يعاني من آلام فراق ولده .

وكان يمكن للنبي أن يستمع لهذه المقالة ويسكت ولا لوم عليه

لأنه مشغول بدفن ولده .

ولكن النبي العظيم — أستاذ الحقيقة — لم يقبل أن يعزى

بما يخالف الحقيقة .

كان يمكن للنبي أن يسكت أيضاً هذه المقالة تشييع بين

العرب ، فيوقن أتباعه ، ويؤمن أعداؤه .

ولكن النبي جفف دمه ، ووقف في الناس معلماً يقول :

الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينخسفان لموت أحد

ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة .

إن الحقيقة يا وائل . .

والحقيقة وحدها . . هي الأساس الذي بنى عليه النبي
دعوته .

أين هذا من افتراء «جوستاف» - الذي يدعى أن النبي
كان ينسب الخوارق إلى نفسه ؟ !

وأمامك يا وائل كتاب «تاريخ الشعوب الإسلامية»
تأليف «كارل بروكلمان» .

اقرأ السخافات العقلية التي وضعها هذا الكاتب في كتابه .
إن كل سطر منه يحتاج إلى ردود طويلة .

إنه يدعى أن النبي تدرج في مسألة التوحيد ولم يعرف
لتوحيد الخالص في السنوات الأولى من بعثته .

ولو كلف هذا الكاتب نفسه أن يقرأ السور الثلاث الأولى
التي أنزلت على النبي في بحر الوحي لأدرك صورة التوحيد
الخالص الذي لم يرق إليه دين إلا الإسلام .

فمنذ الايام الاولى للوحى والقرآن يؤكد قضية التوحيد
دافرا باسم ربك ، لا باسم صنم أو بشر . لأن ربك هو الخالق
لأن ربك هو الاكرم ، ولأن ربك هو المعلم .

وتأتى سورة المدثر : وتؤكد ضرورة تكبير الله ، وطهارة
النفسي والقلب والثوب من كل دنس .

أما سورة المزمل : فمنهج التوحيد فيها واضح « رب المشرق
والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه كتيلا ، ٩ المزمل .

فأى توحيد أكمل من هذا التوحيد - الذى عرفه النبي
منذ الشهور الاولى من الوحى ؟

وهل عرفت ديانة الكتاب - إن كان عنده دين - توحيداً
أرقى من قوله تعالى : رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو .
فاتخذه كتيلا ؟

...

ويقول فى ص ٧٨ . من نفس الكتاب .

يتحتم على المسلم أن يعلن غير المسلم بالعداوة حيث وجدته

لأن محاربة غير المسلمين واجب ديني .

هل قرأت يا وائل هذا الافتراء ؟

هل الإسلام يفرض على المسلم أن يعلن الحرب على جميع

خصومه ؟

وائل : عجبا لهذا الكلام ..

إن ، فإغاييرى ، تقول : لقد كان محمد شديد التسامح .

وبخاصة مع أتباع الأديان الموحدة لله .

عارف : ولو قرأ هذا الكتاب سورة الممتحنة لرأى تسامح

الإسلام مع الذين يخالفونه في العقيدة — بشرط أن لا يحاربوا

الإسلام . قال تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين

ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتقسطوا إليهم إن الله يحب

المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم

من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم

فأولئك هم الظالمون ، ٩ الممتحنة

وهناك فارق كبير بين الدعوة إلى الإسلام وبين إكراه

الناس على الدخول فيه .

✖ كما أن الفارق كبير بين الفتوحات الاسلامية - وهي التمهيد
جيشين - وبين انتشار الاسلام وهو مسألة فكر واقتناع
وحرية .

وحسبك أن تعلم أن بعض البلاد تم فتحها عسكرياً وب
الناس فيها على دينهم . كبلاد الاندلس - وقد كفل لهم
حرية عالية .

كما أن كثيراً من بلاد العالم انتشر فيها الاسلام بدون أن
تفتح عسكرياً .

• • •

وائل : لقد اتخذت بدعوة المستشرقين ، وغرني ادعاء
الحياذ والموضوعية .

وأملنا أن يوفق الله علماء المسلمين في نشر مثل هذا الحوا
ليفضحوا خطة الغرب وخصوم الاسلام .
إن أعلامهم أخطر من سلاحهم .

ويجب أن تحصنوا الشباب من الأفاعى .

عارف : الحمل ثقيل يا وائل .

وجهاز الإعلام الإسلامى فقير .

إن هذا أخى له تسع وتسعون نمجة ولى نمجة

واحدة فقال أكتفيتها وعزني في الخطاب ، ٢٣ ص

يا وائل جهاز الإعلام الإسلامى فقير .

لم يبق للإسلام إلا المنبر - فسامح الله الذين يأخذون

الإسلام ولا يقدمون له .

• • •

لو قرأت أوصاف المسيح في القرآن لعلمت أن القرآن أتى

بالمسيح هالة الجمال والكمال .

قال تعالى على لسان المسيح :

وقال إني عبد الله

أتانى الكتاب وجملى نبيا .

وجملى مباركاً أينما كنت .

وأوصان بالصلاة والزكاة ما دمت حيا
وبرأ بوالدتي ..
ولم يجملني جباراً شقيماً ..
والسلام على يوم ولدت ..
ويوم أموت ..
ويوم أبعث حيا ،

٢٣٣ مريم

أما في سورة آل عمران آية ٤٥ ، ٤٦ ، فقد جاء قوله تعالى

، واسمه المسيح عيسى ابن مريم ..
وجيهاً في الدنيا والآخرة ..
ومن المقربين ..
ويكلم الناس في المهد وكهلاً ..
ومن الصالحين .

وقد دأب القرآن عن مريم ، وأثبت عفتها وطهاره منقبة
وعظيم أصلها .

فأصلها ثابت . إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم
وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض والله سميع
عليم ، ٢٤ آل عمران .

وهي محفوظة من الشيطان منذ ولادتها لدعاء أمها .
وإني سميتها مريم وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً . وكفها
زكريا . ٣٧ آل عمران .

فهي طيبة الأصل والبذرة والبينة والراعي .

ثم صادفها اصطفاؤه الله لها على نساء العالمين ..
وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك ... وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين ، ٤٢ آل عمران

وانل : هل نفهم من هذه الآية أن مريم - عليها السلام -
أفضل عند الله من نساء النبي ؟

عارف : يا ولهدى .. لا مجال للمقارنة بين أي امرأة وبين
نساء المؤمنين - نساء النبي ﷺ .

لأن الله قال عن نساء النبي « يا نساء النبي استن كأحد من
للنساء ، ٢٢ الأحزاب

فالقرآن دافع عن عيسى وعن أمه .

فليت علماء الغرب يتأدبون بأدب المسيح .

واسكن كيف نكلفهم بأدب المسيح وهم لم يتذوقوا حلاوة
دينه — الذي نزل من عند الله —

إن حركة التبشير العالمية تمتد لغزو فكري يبارك الاستعمار
الغربي ويخدم مصالحه .

وما أبعد الوسيلة والغاية عن رسالة السماء .

القرآن يمتدح عيسى بما هو أمه ، ويدافع عن أمه ،
والكاتب « نوجين » — الذي يلبس ثوب الوهبان ويحمل قلم
الافاعي ، يقول عن أشرف الخلق محمد — ﷺ : —

إن محمداً حرم لحم الخنزير لأنه كان سكران ونام فوق
كوم عال فأتى الخنزير وعضه . فقام محمد وحرم لحم الخنزير
على أمته .

وأسأل هذا الكذاب الجاحد :

لماذا حرمت التوراة لحم الخنزير ؟
هل هناك خنزير عض موسى - ياسيادة الفيلسوف - فخرم
موسى لحم الخنزير على أمته .

وائل : التوراة تحرم لحم الخنزير ؟
عارف : أجل ياوائل .

جاء في سفر اللائحة ما يؤكد تحريم لحم الخنزير .

وائل : يعنى لحم الخنزير حرام في شريعة موسى وفي شريعة
محمد - ﷺ - .

عارف : وفي المسيحية أيضاً . أعني المسيحية التي جاء بها عيسى
لأن السيد المسيح اعترف بشريعة موسى وأقرها :
وقال : ما جئت لأفرض الناموس .

لكن (بواس) - الذي دخل المسيحية بعد عيسى عليه
السلام استطاع أن يطمس الشريعة ويبطأها .

لقد زعم (بواس) أن بقاء للشريعة يعنى بقاء الخطيئة .
فلابد أن يتخلص الناس من الشريعة ، لكي يتطهروا من
الخطيئة .

جاء هذا في رومية ٣ - ٢٠ قال بولس :
ما دامت الشريعة قائمة فالخطيئة ترتكب ، ولكن المسيح
أبطل الشريعة . فبطل ارتكاب الخطيئة .

وائل : المسيح قال : ما جئت لأبطل الشريعة بل لا أكملها
عارف : وبولس قال : إن المسيح أبطل الشريعة ليخلصنا
من الخطيئة .

معنى كلام بولس أن الشرطة والقضاء هما سبب الجرائم .
فلا بد من إبعاد الشرطة وهدم دور القضاء حتى يسلم المجتمع
من الجرائم .

وائل : هذا منطق معكوس . .
عارف : لذلك قال بولس بعد أن نجح في صرف الناس عن
الشريعة : الآن تحررنا من الشريعة . رومية ٧ - ٦
فلحم الخنزير حرام في الديانة اليهودية بالنص ، وحرام
في ديانة عيسى لإقراره بشريعة التوراة ، وحرام في الإسلام
لأن الإسلام يحل الطيبات ويحرم الخبائث فكيف يجرؤ كاتب
مثل « نوجين » على مثل هذا المقال ؟

وأين الموضوعية والحيادية وأمانة البحث التي يدعيها
علماء الغرب ؟

ومن أي مصدر تاريخي نقل الكتاب القدر مثل هذا
المصنف ؟

لأنني على ثقة أن مثله لو كتب عن نجوم الصينيا ، وشعراء
الحمر ، لكتب قلبه بلا مداد .

أما عندما يكتب مخمور عن سيد الخلق ، وحاقد عن نبي
الرحمة ، وماجن عن استاذ الشرف ، فلا توقع إلا هذا
المصنف .

إن الأثناء القدر يفسد اللب البشري ؟

واهل ؛ هل يمكن أن نعرف شيئاً عن سر تحريم لحم
الخنزير .

عارف : الأصل في اجتنابنا لحم الخنزير أن الله حرمه
علينا بنص القرآن . ولما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير ، سواء عرفتم سر التحريم أو لم تعرفوه .
وصحابة النبي ﷺ - تلقوا أوامر القرآن بالطاعة ،

وتوابعه بالاجتناب احتراماً لقداسة القرآن .

ويخطئ بعض الشباب عندما يعتقد أن الحكم يرتبط
بالملة العتبية فقط ، وبمخالفة النص المكرم .
فالزنا حرام . . .

سواء حدث منه حمل واختلاط أنساب أو لم يحدث .

إن بعض الشباب اعتقد حرمة الزنا لأنه يسبب اختلاط
الأنساب ، فلما اكتشف الطب وسائل منع الحمل . . .

تصور أن تحريم الزنا أصبح بلا جدوى .

إن الأصل في التحريم هو النص .

وقداسة النص باقية إلى يوم القيامة .

أما معرفة الملة فهي عامل يحض على إطاعة الأمر فقط .
بعد ذلك يمكن أن أقول :

- الحنزير لا يتخلص إلا من ٢٪ من حامض البوليك ويحتفظ

بالباقى في لحمه . مما يسبب آلام المفاصل عند آكله .

- وهو يسبب الدودة الطويلة :

وهذه الدودة تختلف عن الدودة التي يسببها لحم البقر .

لأن جرثومة لحم البقر تقتلها نيران الطهي .

أما جرثومة لحم الخنزير فلا تقتل .

- وهو حيوان يأكل القاذورات . وإذا وجد بها حيوانا ميتاً أكله ، والإسلام يحرم أكل الحيوان الذي يأكل اللحم .

إلا السمك - فإن الله أحله لنا بنص قرآني كريم ، أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، ٩٦ المائدة .

وائل : لكنني أعلم أن العلم الحديث استطاع أن يقتل جرثومة الدودة الطويلة في لحم الخنزير .

عارف : يقتلها من كل الخنازير أم من بعضها ؟ :

وائل : من الأنواع التي تربي بوسائل علمية ، ونطهي بوسائل علمية .

عارف : وبقية الخنازير ماذا قدم العلم لها ؟

يضيف بعض علماء طباع الحيوان سبباً آخر لتحريم الخنزير وهو أن كل من أكل من لحم حيوان معين يتأثر بطباعه . والخنزير لا يمار على أنثاه ، فإن صح قولهم فلعلم هذا هو سبب برود الرجل في أوربا وعدم غيرته .

وائل : تبقي كما هي . . .

عارف : ما كان الله ليذرع عباده ضد حية الأمراض - التي يسببها
هذا الحيوان - حتى يأتي للعالم ليما لجها .

والاصل في التحريم هو النهي الإلهي - كما قلت لك وليس
الاصل هو إدراك العلة .

إن بعض الذين تحدثوا في فضل الصيام وحكمته قالوا :
إن الله شرع الصيام ليشعر الغني بآلام جوع الفقير .
وهذا كلام مقبول واطيف :

ولكن عندما قاله أحد الخطباء في « أفغانستان » وعزم
الشباب على الصيام . . .

جاء أحد الملاحدة - هناك - وقال للشباب :

الصوم يهذب الأغنياء ويشعرهم بالفقراء .

فلماذا نصوم نحن الفقراء ؟

فأصبح الشباب مفطراً ، إعتقاداً منهم أن الحكيم يدور مع

العلة ، ولا يدور مع النص الثابت (١) .

واقل : هل هناك أحكام تغيب الحكمة منها على المسلمين ؟
عارف : هل كل المسلمين يدركون علة الأحكام وحكمها ؟
واقل : لا . . .

عارف : قلت لك : أن صحابة النبي ييم أن اجتنبوا لحم
الخنزير لم يسألوا النبي عن الحكمة من التحريم .

ولسكن قالوا : سمعنا وأطعنا ، لأنهم أيقنوا أن النهي جاءهم
من الله ، والله أعلم بسر السكون .

إن منهج تربية الجنود يستلزم إحترام الأوامر وإن غابت
الحكمة عن الجنود .

فمثلا إذا أردنا أن ندخل معركة لتحرير القدس ، فعليتنا أن
نقنع الجنود بهدفها العام ، ونؤكد شرف المعركة .

أما عندما تدور المعركة ، ويصدر القائد أمره إلى بعض

(١) روى في هذه الحادثة أحد العلماء الاجلاء وقد وفقه
الله وشرح أسرار الصيام ، وفرضيته بها أعاد الشباب إلى
الصيام متقنين .

الجنود أن يتقدم ، أو يتجه إلى مكان معين فيجب عليهم
احترام الأوامر وعدم مناقشة السبب ، حفظاً على الوقت
وسرية الخطة العسكرية .

وهذا ما نسميه في العرف الإسلامي «أمور تعبدية»
وائل : هل تتعارض الأمور التعبدية مع احترام الإسلام
للعقل ؟

عارف : لا يا وائل .

لأن الإسلام يقنع العقل بالأمور الاعتقادية - كوجود الله
ونزول القرآن من عند الله ، ونبوة محمد - عليه السلام فإذا ثبتت
هذه القضايا في النفس بالطاعة بعد ذلك واجبة وأضرب لك
مثالاً واحداً إذا خرج رجل - نثق في صدقه - من بيت وقال
لك : لا تدخل البيت لأن فيه وحشاً هائجاً ، فإن صدقته نجوت .
وإن خالفته دفعت الثمن غالياً . . .

وائل : الحمد لله الذي هدانا لهذا الحق . . . وأتانا لهذا الطريق .
إن ديننا غني عن أباطيل خصومه . . .

لقد فضحت منبرجهم ، وأثبتت حقدهم .
بارك الله فيك أسعداً ، وأباً لتلاميذك .
عارف : لا أمنعك من القراءة للمستشرقين . . .

ولكن اقرأ قراءة العاظم عليهم ، لا قراءة المخدوع بهم ما
فإن الحق أبلغ . والله معك . .

* * *

الفصل الخامس

١ - مصدر القرآن في زعم المستشرقين

٢ - قصة الراءب بحيرى .

لأن صدقتها فهي دليل على نبوة محمد .

وإن كذبتها فهي دليل على نبوة محمد .

٣ - هنا الحقيقة . . .

« جولد بيارت »

ذو القعدة عام ١٣٩٥ هجرية .

وكان الشيخ يستعد للسفر لبیت الله الحرام ، ووفود المهنتين تملأ البيت وإذا بطارق يدق الباب . له المهندس البلجيكي د جولد بيارت ، دله على الشيخ احد الشباب المسلم في لبنان - عندما قال له :

لقد حضرت إلى البلاد الإسلامية لأبحث عن الحقيقة .

ودار حوار طويل نذكر بعضه - بقدر ما تسمح هذه الصفحات

وقد نشر بعضه في كتاب : المال في القرآن ، عام ١٩٧٦ .

جولد : لقد سافرت إلى تركيا ولبنان بحثاً عن الحقيقة . وفي

فنادق لبنان التقيت بالشباب المراقى الأستاذ . وليد المشهداني - فدانى عليك .

بحثت في اليوم الثاني مباشرة لانتى متعطش للحقيقة . وآمل

ان اجدها في بغداد عاصمة الحضارات الإسلامية .

الشيخ : عن أى شىء تبحث يا مسافر جولد ؟

جولد : هل لدى الشيخ ما يقنع المماصر بنبوة محمد ؟

الشيخ : القرآن هو الدليل الدائم على نبوة محمد - ﷺ -

جولد : الذى لا يؤمن بنبوة محمد لا يؤمن بالقرآن .

الشيخ : لا أعني أنني سأقرأ عليك قول الله تعالى : « محمد رسول الله »

٢٩ الفتح

ولا قوله تعالى : والله يعلم إنك لرسوله ،

١ المنافقون

فنحن لا نناقش بالقرآن إلا من يؤمن بأنه منزل من عند الله.

ولكن أعني أنني سأحاول أن أثبت لك أن هذا القرآن

منزل من عند الله عن طريق المناقشة العقلية .

وبعد ما من السهل أن تدرك أن محمداً رسول الله .

جولد : هذا صحيح إذا تبصرت لك أدلة عقلية .

فقد قرأت كلاماً متناقضاً لكتاب الغرب .

قرأت للكاتب « ارفنج ، ودرمنغام ، ورينيه ، وكارل بروكلمان ،

وغيرهم .

قرأت لهم أن محمداً التقى ببعض الرهبان والأخبار وتعلم منهم

القرآن (١) .

(١) يقول كارل في تاريخ الشعوب الإسلامية : فلعله اتصل

بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل =

بل قرأت أن المسلمين تمموا القرآن - بعد موت محمد .

« الشيخ يضحك » ويقول :

المسلمون تمموا القرآن بعد موت محمد ؟

هذا كلام عجيب ..

لقد قال صاحب كتاب حضارة الاسلام :

إن القرآن لم يزد شيئاً ولم ينقص شيئاً منذ وفاة محمد .

بل أكثر من هذا أنه قال : حتى ترتيب السور والآيات لم يحدث فيها أى تغيير .

جولد : قرأت هذا فعلا .

أنا حائر لتناقض علماء الغرب فى أمر محمد .

الشيخ : أضرب لك مثالا واحداً لأمانة الأمة فى الحفاظ

على القرآن .

= هزيلة إلى حد بعيد ص ٣٤ ونسأله كارل ، إذا كان القرآن

وليد معرفة هزيلة بالكتاب المقدس فلماذا عجز أصحاب المعارف

الواسعة أن يأنوا بمثله عندما تخدام القرآن ؟ وسوف نقارن

بين القرآن وبين كتابكم المقدس الذى تدعونه مصدراً للقرآن .

كون أبو بكر - خليفة النبي الأول - لجنة لجمع القرآن
في نسخة واحدة تحفظها الدولة .

وعين عمر بن الخطاب وزيراً للدولة في شؤون جمع القرآن .
وحدث أن اختلفت اللجنة مع عمر في حرف واحد من سورة
التوبة .

قرأ عمر ، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
الذين اتبعوهم بإحسان . قرأ الذين اتبعوهم بدون واو - على
أنها بدل أو عطف بيان . آية ١٠٠ التوبة
وقرأت اللجنة ، والذين اتبعوهم بإحسان ، على أنها عطف
نسق ، وقراءة اللجنة ينبغي عليها دخول كل متبع للسابقين في
رحمة الله ورضوانه .

فطلب عمر بن الخطاب من اللجنة أن تنتظر القراء الذين
هاجروا إلى سوريا والعراق ومصر والذين سيجمعهم موسم الحج
ليسألوهم عن هذا الحرف .

وجاء موسم الحج وحضر القراء - الذين حفظوا القرآن
على يد النبي ﷺ وأكثروا وجود الواو .

فكتبها عمر ، وتنازل عن قراءته .

جولد : إلى هذا الحد بلغت أمانة النقل ؟

الشيخ : لقد قال زيد بن ثابت - رئيس لجنة جمع القرآن -

لأبي بكر الصديق - رضى الله عنهما -

والله لو كلفتنى نقل جبل لكان أمون على من كتابة القرآن .

وذلك لشعوره بالأمانة الثقلية في نقله - فكيف يدعى كاتب

غربي - في عصر سهل فيه تبادل المصادر والكتب مثل هذا الرأي ؟

يا مستر جولد . إن المؤسف حقاً أن كتاب الغرب إلى اليوم

يرددون الاتهامات التي وجهها رجل البادية إلى الإسلام - في

عصر الجاهلية - بل والأكثر من هذا أنهم يفسرون الظاهرة

القرآنية بنفس التفسيرات الجاهلية .

إن أقلامهم امتداد للجاهلية الأولى ، باسم العلم وأمانة الدراسة -

لأنهم كاقطط الشريدة التي تبحث في القمامة عن فضلات الطعام .

وسوف أناقش معك هذه الأوهام بشيء من الإيجاز لأنني

أستعد للسفر غداً إن شاء الله -

المستشرق « نيو فانز » قال :

محمد تعلم القرآن من رهبان لقيهم في رحلاته إلى مصر
وإلى الشام .

وهذا كلام يؤكد جهل الكاتب بحياة محمد .
لأن محمد لم يسافر إلى مصر طيلة حياته .
لا قبل النبوة ولا بعدها .

المستشرق « دور منغام » قال :

التقى محمد ببعض الرهبان في قرية « مدين » وكان محمد في قافلة
تجارية فتعلم منهم . ١ هـ

ولو كلف هذا الكاتب نفسه أن يدرس (خريطة بلاد
العرب) لعلم أن القوافل من مكة إلى الشام لا تمر على قرية
مدين . لأن مدين في سيناء . والقوافل لا تمر بسيناء .

أست معي يا مستر جولد أن من يجهل هذه الأوليات
التاريخية والجغرافية أولى به أن يستحي ولا يكتب
عن محمد ؟

جولد : هل تمنى أن محمداً لم يلتق في حياته بأحد من الرهبان ؟

الشيخ : لا أعنى أنه لم يلتق بأحد من الرهبان .

لقد التقى برهبين يعرفهما التاريخ جيداً

ولم يكن وحده هو الجالس إليهما .

الراهب الأول : اشتهر باسم بحيرى .

وكان عمر النبي يومها لم يتجاوز الثانية عشرة ، عندما رغب أن

يسافر مع عمه أبو طالب إلى الشام .

وأثناء لقاء الصبي محمد بالراهب المعجوز كانت القافلة كلها

تجلس معه .

وأمن الراهب في محمد — ﷺ — وسأل :

الراهب : ابن من هذا ؟

أبو طالب : لابنى

الراهب : لا . إنه يتيم .

أبو طالب : ابن أخى .

الراهب : صدقت . ما ينبغي أن يكون له أب — على

قيد الحياة - ثم نصح الراهب أبا طاب فقال :
يا أبا طاب . ارجع بابن أخيك .
فإني أخاف عليه يهود الشام أن يقتلوه .
يا مستر جولد .

من يؤمن بصدق هذه القصة - من كتاب الغرب - ويروج
لها - عليه أن يسأل نفسه :

كيف عرف الراهب أن محمداً يتيماً؟
ولماذا خاف عليه من يهود الشام؟

كيف تعلم النبي من الراهب - في ساعة من نهار - أصول
دعوة ومنهج أمة؟

لمماذا سكنت محمد - ﷺ - ثمانية وعشرين عاماً بعد لقاء
الراهب؟

لمماذا لم يقل أصحاب القافلة لمحمد : كنا معك عندما سمعت
هذه المقالة من الراهب؟

يا مستر جولد . . .

إن قصة الراهب دليل على نبوة محمد

وليس تفسيرا لظاهرة الوحي - كما يدعى علماء الغرب .

جولد : ربما تكون القصة موضوعة ولا أصل لها .

الشيخ : من يدع ذلك يلتزم بالنتيجة المترتبة على الإنكار

وهي أن محمداً لم يتعلم من الراهب شيئاً .

فإنكار القصة يثبت نبوة محمد .

ولإثبات القصة يثبت نبوة محمد . ويثبت أنه مذكور في السكتب

الصغرية السابقة - التي درسها الراهب .

جولد : حوار منطقي فعلاً ، لا يملكه علماء الغرب - الذين

يعرضون آراءهم على أنها مسلمة لا تناقض .

ومن الراهب الثاني - الذي لقيه محمد - ؟

الشيخ : راهب في مكة . .

اسمه « ورقة بن نوفل » ،

وقد زاره النبي بعد نزول الوحي عليه لأول مرة .

ولم يكن النبي يعرف أن الذي نزل عليه وحى من عند الله .

فلما سمع - ورقة بن نوفل - كلام الوحي بشر للنبي أنه سيكون
نبي هذه الأمة .

وكانت خديجة مع النبي - عند الراهب - ومات الراهب
بعد فترة قصيرة .

يا مستر جولد

بعد أن عرفت حقيقة أمر الراهبين إتضح لي أن أناقش
الأمر - معك - مناقشة موضوعية

هل تتصور أن النبي ﷺ تعلم القرآن من اليهود . ثم جاء
لهم به ، وأعلن كفرهم بنص القرآن ، ولم يقل أحد منهم للنبي :
هذه بضاعتنا ردت إلينا ؟

ثم أناقش معك جانباً واحداً من القرآن - لضيق وقتي
الذي سأسافر غداً إن شاء الله تعالى - إلى بيت الله الحرام .
أناقش معك موضوع القصة في القرآن وللتوراة .

ذكرت التوراة قصة نوح ، وإبراهيم ، ولوط ، وموسى ،
وعارون ، وداود ، وسليمان .

وكل هؤلاء الأنبياء جاء ذكرهم في القرآن .

ولكن الدراسة المقارنة ستظهر لك الفارق الكبير :

• • •

نوح :

نسبت إليه التوراة أنه شرب الخمر ونام قائم كشفت عورة

سفر التكوين اصحاح ٩ - ١٨

بينما ذكره القرآن بقوله تعالى : ذرية من حملنا مع نوح

كان عبداً شكوراً .
الإيماء -

لوط :

وصفته التوراة بأنه شرب الخمر حتى غاب عن وعيه ثم

سفر التكوين -

ببنتيه !!

بينما وصفه القرآن بقوله تعالى : فأمن له لوط وقال

مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم .

موسى :

وصفته التوراة بأنه إله هارون فقالت : هو يكون لك

سفر الخروج ٤ -

وأنت تكون له إلهاً .

بينما وصف القرآن هارون بأنه وزير لموسى :

واجعل لى وزيراً من أهلى . هارون أخى ،

يا مستر جولد .

هل تتصور أن القرآن ينهجه المنصف الأنبياء ، ولاحق ، قد
استمده محمد من اتهامات التوراة الأنبياء ، وتشويه سيرتهم ؟
إن الظلم وتزوير الحقيقة ، لا ينبغي أن إنصافاً ، ولا عدلاً .
ونواصل مقارناتنا بين افتراء التوراة وحقائق القرآن .

* * *

هارون :

نواصل دراساتنا للتوراة ، فنراها تذكر قصة هارون . .
واسمع يا مستر جولد ما نقوله التوراة :
اسمع قصة هارون في الكتاب المقدس - الذي لا يستحي
طء الغرب من جعله مصدراً للقرآن :
تقول التوراة :

ولما طال زمن غيبة موسى ، أظهر هارون الضعف
لأنه كسار ، وعصى الله ، وصنع لهم عجلاً ذهبياً لإسكاتهم .
خروج ٣٢ : ٤

وتقول أيضاً :

والظاهر أن هارون راعى الجانبين فبنى للإله الجديد
مذبحاً ، وأعلن عيداً للإله .

خروج ٢٢ - ٥

فالتوراة تدعى أن هارون هو الذى صنع الله وصنع المعجل
لبنى إسرائيل - مع أنه نبي -

ثم تمتدح عن هذا الخبر - الكاذب - فتدعى أن هارون
صنع المعجل لإسكاتهم فقط ، لا لأنه كان يعتبره إلهاً من
دون الله .

هذا منطوق التوراة . . . ١١

أما القرآن فيذكر قضية المعجل الذهبى ، وينسب الجرم
إلى فاعله الحقيقي ، وهو السامرى .

قال تعالى :

وما أعجلك عن قومك يا موسى . . . ؟

قال هم أولاء على أئرى وعجات إليك رب لترضى .

قال فإننا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامرى ،

٨٥ طه

وفي آية أخرى ، قال القرآن الكريم :

قال فما خطبك يا سامري ٤٠٠

قال بصرت بما لم يبصروا به .

فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سواك لي

٨٦ طه

نفس

فصائع المعجل - كما يحضر القرآن - هو الشقي للسامري .

أما هارون - عليه السلام - فوقف فيهم محذراً من عبادة

غير الله .

قال تعالى :

« ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به . وإن

ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري » .. طه

فهل تصلح التوراة أن تكون أصلاً للقرآن ومصدراً له ١٩٤

جولد يهز رأسه وعلى وجهه ملامح الحيرة ،

وفترك هارون يحفر الناس من عبادة المعجل .. لنلتقي

بإيمان - عليه السلام -

نلتقي معه مرة أخرى في التوراة ، ومرة في القرآن - لنعرف
المارق بين الكتابين . وهل تصلح التوراة لتكون مصدراً
للقرآن ١٩

يا مستر جولد . نتناول بعض الفاكهة ثم نواصل الحديث
جولد : الحقيقة أعلى من الفاكهة ..
عارف : الفاكهة تدبّر على طلب الحقيقة .
يضحك الجميع ويتناولون الفاكهة .
جولد : نعود إلى حديثنا .

عارف : صورت التوراة سليمان - عليه السلام - بأنه
« في سلطانه مثيراً للنهضة ، فأخذ في السرف والنرف والتعيش
الممنوع أكيداً ، سفر التثنية » ١٧ - ١٦
ولقد هدده الله ووبخه في رؤياه الثانية .
فرغم أن يتمم ، استكبر وتساهل في أمر ربه ، ونسى
ربه ، الملوك ١ - ١

وأكثر من كل هذا قوت التوراة عن سليمان :
أخذ يماشر . . . ويمشقر النساء الغريبات اللاتي منع

فنكح منهن سبعمائة بالعقد الدائم ، وثلاثمائة بالعقد المنقطع

فاجتذب وأملن قلبه عن ربه . ملوك ١١ - ١٠
هذا سليمان عندهم - أعنى في توراتهم -

* *

أما القرآن فقد تحدث عن علم سليمان . ودقة فهمه في الحكم

بين الناس منذ فترة شبابه المبكر (١)

ونذكر نموذجاً واحداً لذلك .

تقدم رجلان لداود عليه السلام أحدهما صاحب حقل

زراعى ، والثانى صاحب غنم .

واشتكى صاحب الحقل : أن غنم أخيه دخلت حقله

(١) الحادثة المذكورة حكم فيها سليمان في عهد والده داود

- عليهما السلام - والتوراة ذكرت أن داود قدمات

وعمر سليمان عشرين عاماً . « سفر الملوك »

فعنى هذا أن سليمان حكم في القضية قبل سن العشرين .

في الليل وأتلفت زرعه .

فحك داود : أن يأخذ صاحب الحقل الغنم ثم يوضأ عن زرعه
لكن صاحب الغنم اشتكى سليمان ضياع غنمه .

فدخل سليمان على أبيه وقال له :

يا بني الله . . ادفع الغنم لصاحب الحقل ينتقم بها ، واد

الحقل لصاحب الغنم يمهيد زراعته .

ثم يرد كل منهما ما في يده لصاحبه .

قال داود : حكمت فعدت .

وقد سجل القرآن هذه الحادثة دليلاً على نضج سليمان

في شبابه .

قال تعالى :

وداود وسليمان إذ يحمقان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم

وكننا لحكمهم شاهدين .

فقمناها سليمان . وكلا آتينا حكماً وعلماً ، ٧٨ الأنبياء

وقد امتدح القرآن سليمان فقال :

« ووهبنا لداود سليمان . نعم العبد . إنه أواب » ، ٣٠ ص

الحكم يا مستر جولد .

سليمان - في التوراة - مشغول بألف امرأة أملن قلبه

« ربه » .

وسليمان - في القرآن - « نعم العبد . . . » لأنه أواب ،

« يا مستر جولد - أن محمداً تعلم القرآن

من الكتاب المقدس ؟ !

. . .

إن اليهود يدعون أنهم شعب الله المختار . . . والإسلام

ين يسوى بين كل الناس ، ويجعل أكرمهم عند الله أتقاهم .

وعندما أخبر القرآن أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس .

يجعل عوامل التفضيل سمو شعب على شعب ، ولا دماً

دم .

لأنما جعل دائرة الشريف هي جهاد الأمة من أجل الخير

لإبعاد الناس عن المنكر . قال تعالى :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »

« يا أيها الذين آمنوا اقاتلوا في سبيل الله ولعلكم تحققون »

وقد أخبر القرآن أن جماعات من غير العرب سوف تدخل
الإسلام ويصبح لها كل ما للعرب من شرف .

قال تعالى :

«وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ،
٣ الجمعة

وشرف هذه الأمة مرتبط بخدمة دينها والدفاع عنه .
فإذا انفصلت الأمة عن حمل أمانة الدين ، نزع الله منها
هذا الشرف .

«ولن تتولوا يستبدل قوماً غيركم . . . ثم لا يكونوا
أمثالكم ،
٣٨ محمد
يا ماستر جولد .

هل يمكن أن تكون هذه المساواة العامة قد استقامها محمد
من قوم لم يبق لهم من دينهم سوى الغرور والتعالى
على الناس ؟!

هذا من جهة العقيدة . . .

أما من جهة الشريعة اليهودية ، والشريعة الإسلامية -

فالحلاف جلي وواضح .

اليهود يحرمون الربا .

والإسلام يحرم الربا .

ولكن اليهود يحرمون الربا بين اليهودي ، واليهودي فقط .
أما غير اليهودي فيجوز لإقراضه بالربا .

جاء في سفر التثنية :

الأجنبي تقرض برابياً .

ولكن لأخيك لا تقرض بالربا ، لكي يبارك الرب إلهك
في كل الذي تمتد إليه يدك - هذه شريعة التوراة -

أما الإسلام فيحرم الربا على المسلم ، سواء كان المقرض
مسلياً أو غير مسلم .

• • •

الديانة اليهودية تحرم لحم الميت .

والإسلام يحرم لحم الميت .

ولكن التوراة - التي يدعى المستشرقون أن النبي أخذ

القرآن من عالميها - تقول - في سفر التثنية :

لا تأكل جثة ما . - يعنى أى جثة -

تعطيها للغريب على بابك يأكلها أو يبيعها لأجنبي ، لأنك

شعب مقدس للرب إلهك . .

يا مستر جولد .

هل تصور أن الدين الذى يسوى بين كل الناس فى أحكامه ،

ويعطى لغير المسلمين من الحقوق كل ما للمسلمين ، ويجعل

عليهم من الواجبات بمقدار ما على المسلمين .

هل تصور أن هذا الدين يمكن أن يكون امتداداً لدعوة

اليهود العنصرية ، أو لتثليث النصارى ؟

إن التثليث لا يوجب التوحيد الخالص .

وظلم سيرة الأنبياء وتشويه قدرهم - فى التوراة -

لا يمكن أن يكون مصدراً للإنصاف التاريخى - الذى -

جاء به القرآن .

والديانة المخلقة على قوم بعينهم لا يتصور عاقل أنها أم

الدعوات العالمية المفتوحة .

جولد : لاني أشعر بما يشعر به راكب السفينه .

عارف : لشعر بدوار في رأسك ؟

جولد : لا

بلى أشعر بأنني في طريق لإدراك الحقيقة . ببساطة ، كما
يشعر راكب السفينه بأنه في طريقته إلى شاطئ السلام .
لقد بحثت كثيراً عن الحقيقة

وسافرت من أقطابها إلى بلاد عدة

لقد أصبحت على يقين من أن محمداً لم يأخذ القرآن من
توراة والإنجيل . لأن من تتلذذ على فن تأثر به ههنا
حارل أن يتناساه .

* * *

واكنتني قرأت لبعض المستشرقين أن محمداً كان يطيل
تأمل في السكون . حتى هداه تأمله لهذا الدين .

عارف : وددت لو أنك تهجد اللغة العربية لتقرأ كتاب
النبا العظيم ، لتذكور محمد عبداً لله دراز .

كما وددت لو ترجم هذا الكتاب ونشر بكل لغات
العالم .

لأنه يناقش قضية نزول القرآن من عند الله مناقشة
عقلية وافية .

- أحد الأسماء : تذكر سفرك غداً بعد الفجر .
- سوف تسافر عقب صلاة العصر - إن شاء الله .
- إذن نواصل الاستماع .
- لو صنعت لنا بعض الشاي أكرمنا .

* * *

عارف : يا مستر جولك .

لذا أضفنا للدراسة السابقة - والتي توضح أن منهج
القرآن - في العقيدة والشريعة والسيرة - يختلف تماماً عن
منهج الكتاب المقدس . لو أضفنا حقيقة أخرى وهي أن
محمداً قضى أربعين سنة من عمره أمياً لم يشغل بدرس
ولا مدرس ، وذهنه خال من أي فكر إصلاحي ، أو

تغيير اجتماعي . لقد عاش يرضى الغنم ، ويتاجر في مال
السيدة خديجة ، ولم يسمع منه يوماً أن يتحدث عن توحيد الله ،
أو عن نعيم الجنة ، أو عن أى دعوة للخير .

أربعون عاماً ليس بالعمر القليل . . .

وقد سجل القرآن هذه الفترة ، وأكد فراغ ذهن النبي
من كل شيء - إلا ما يشغل الرجل العادي من شؤون
الحياة (١) .

(١) ونحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك
عنا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ،

٣ يوصف .

وقال تعالى : تلك من أنباء الغيب أوحينا إليك ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا .

٤٩ هود - ولو كان له ، أو لقومه علم بها لآعلنوا
تكذيبه .

وقال تعالى : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا =

فالقرآن يؤكد خلوه ذهن النبي في مرحلة ما قبل د إقرأ باسم ربك ، - من كل شيء - .

هذا القرآن قرأه النبي على قومه - الذين يعرفون عن حياته كل شيء ، ولو لم يوافق وصف القرآن للنبي حقيقة حياته لقال المشركون له :

فدهى أنك أمي لم تدرس ، ولم تتعلم ؟

والحقيقة : إنك درست عند فلان ، وتعلمت من فلان .
لأنهم كانوا أحرص الناس على تكذيبه .

= ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ،
د آخر الشورى ،

وقال تعالى : د وما كنت تعلم من قبله من كتاب ولا تخطئه
بيمينك . . . إذن لارتاب المبطلون . .

د ٤٨ المنكبات ،

أى لو كنت تقرأ لارتاب المكذبون وقالوا : إنه درس . ولكن عدم قراءتك دليل على تلقى وحى الله .

ولكن سكوتهم عن ذلك دليل على صدق دعواه . . .
يامستر جولد . . .

القصة - في القرآن - تعتبر إخباراً عن غيب الماضي .
وإخبار النبي عن غيب الماضي بدقة كدقة القرآن - مع
أنه أمي - يؤكد أن القرآن ليس نتيجة التأمل الفكري . لأن
التأمل لا يكشف عن المغيبات (١)

جولد : أشعر أن الحوار يحترم عقلي .

(١) استعمل القرآن كلمة فرعون لحاكم مصر في عهد موسى ،
وقال فرعون ، واستعمل كلمة الملك لحاكم مصر
- نفسها - في عهد يوسف ، قال الملك ، وبقي سر التسمية
بجهولاً حتى اكتشف العلماء حجر رشيد - الذي كان مفتاحاً
لدراسة اللغة المصرية القديمة . وبمدها علم رجال التاريخ أن
المصريين القدماء كانوا يطلقون على الحاكم من أبناء مصر
، فرعون ، وإذا كان الحاكم محقلاً للبلاد يسمونه
، ملكاً .

ويشوي احتمال نزول القرآن من عند الله . ولا يمكن
لا زلت بحاجة إلى حديث طويل .

فقد قلت لك : إنني كراكب سفينة يقترب من الحقيقة
بهدوء .

عارف : أنت تطلب الحق ، ونحن في خدمة الحق .

لقد كشف القرآن عن غيب الحاضر - كما كشف عن
غيب الماضي .

ويجعل هذا الأمر في فضح القرآن لتناق المنافقين . وكشف
طويتهم - مع إجادتهم لتمثيل دورهم .

والأعجب من غيب الماضي ، وغيب الحاضر هو إخبار

= ويوسف عليه السلام عاش في أيام الهكسوس الذين غزو
مصر من أواسط آسيا ، وطردهم « أحسن » . فهل أدركت سر
القرآن في التسمية ١١٩ ؟

وهل مثل هذا السر يدرك بالتأمل ؟

القرآن عن غيب المستقبل فجاء الزمان فصدق ما أخبر
به القرآن .

والمعواهد كثيرة لمن قرأ القرآن .

كان النبي في مكة بعيداً عن أحداث معركة الفرس
والروم .

وتطاولت الأخبار بهزيمة الروم - أمام جيش الفرس .
وحزن المسلمون للنتيجة - الروم أصحاب دين ، أما
الفرس فمجوس يعبدون النار .

وفرح المشركون بالنتيجة ، لان الفرس أقرب لهم من
النصارى .

ولكن القرآن نزل يخبر المسلمين أن النصر للروم - في
الجولة الثانية - من المعركة .

والأدب من هذا أن القرآن حدد المدة - التي سينتصر
فيها الروم .

حددها ببضع سنين .

والبضع من ثلاثة إلى تسعة . ثم أكد القرآن أن نصر
الروم سيوافق نصراً آخر عنه المسلمين .
نزلت الآيات في مكة . . .
ومرت السنوات تباعاً .

وهاجر النبي إلى المدينة .

ودارت معركة بدر الكبرى . وانتصر المسلمون فيها .
وفي أثناء احتفال المسلمين بنصرهم ، وصلتهم أخبار تؤكد
انتصار الروم على الفرس .

ولتقى النصران . وصدق الله وعده ، وصدق نبيه قال
الله سبحانه في القرآن المبكى :

« غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون
في بضع سنين . . . »

« الله الأمر من قبل ومن بعد . . . »

« ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ه الروم

« ويومئذ . . . أي يوم انتصار الروم ، سيفرح المؤمنون

بنصر الله . وقد وافق نصر الروم على الفرس انتصار المسلمين
في بدر .

هل هذه المفاهيم يمكن أن يدركها العقل بالتأمل وطول
النظر في الكون .

جولد : لا .

الامر اعلم من كل هذا وأجل .

وايكن . ربما كان محمد يعلم الغيب ؟

حارف : إذا تصورته يعلم الغيب فقد تصورته نبياً .

يا مستر جولد .

لم ينسب محمد إلى نفسه أنه يعلم الغيب .

وقد أعلن القرآن هذا .

« قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا

بكم . إن أتبع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين »

٩ الاحقاف

وقال تعالى :

« قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا

أقول لكم أنى ملك ، ٩ الانعام

وعندما غنت جارية - فى عرس - وقالت :

وفينا نبى يعلم ما فى غد

قال لها النبى : لا تقولى هكذا . وقولى ما كنت تقولى .

فحمد - فى ذاته - وفق قانون بشريته - لا يعلم الغيب ،

والقرآن أخبر بكثير من المغيبات ، وصدقها الآيات والايام .

والغيب عنيد . من دخله بدون وحى فضحه . وكذبه .

فن أين جاء محمد بهذا القرآن ؟؟

جولد : هذا المجاس حول فكرى .

ما كنت أعتقد أن منهج الإسلام بهذا الوضوح .

عارف : الإسلام قضية عادة .

غير أنه وقع فى أيدي محامين فاشلين .

جولد : لا يوجد فى الغرب من يوضح هذه الحقائق للشباب

ما جمل لصوص العقائد يقدمون الباطل ويخفون الحق . وهم

آمنون من فضيحة باطلهم .

عارف : هذا قدرنا - يا مستر جولد -

المعركة ضارية ، والسلاح قليل .

على أى حال نعود إلى موضوعنا .

لقد علمت يا مستر جولد أن دعوة تعلم محمد من الرهبان

تعتبر تزويراً للتاريخ .

ودعوة أن القرآن نسخة محرّفة للكتاب المقدس لا يقبلها

عقل . (١)

لأن القرآن مصحح لما أحدثه الزمن في هذا الكتاب .

ودعوة الاستبطان الذاق ، يردّها وجود المغيبات الصادقة

في القرآن . فالغيبات لا تدرك بالاستبطان الذاق ولا

(١) قال لى أحد المجادلين عندما أخرجته هذه الحقائق

الثابتة : ربما تعلم محمد من التوراة والانجيل الأصليين .

فضحكت وقالت له :

كلامك هذا معناه إن كتابك - الذى تؤمن به ليس أصلياً ،

بل محرّفاً .

فاعتذر بأنها عبارة غير مقصودة .

بالتأمل .

فمن أى مصدر جاء النبي بهذا القرآن ؟

يا مستر جولد :

ما رأيك فى العلم الحديث .

جولد : خدم الإنسانية ، ويجاول أن يستخر كل شىء لخدمة
الإنسان . والعلم استخدم منهج التجربة والمشاهدة لإدراك
الحقائق الكونية .

عارف : هل يمكن للتأمل الفكرى أن يكتشف حقائق عالم الفلك
والتشريح والفضاء ؟

جولد : لا .

عارف : سوف أقرأ عليك بعض آيات القرآن ، لتعرف
هل يمكن للنبي أن يتوصل إليها عن طريق التأمل أو دراسة
الكتاب المقدس ؟

تتكلم القرآن عن شكل الأرض فقال : والأرض بعد ذلك

دحاهم ، ٣٠ النازعات

والدحية هى البيضة .

فهل هناك علاقة بين البيضة وشكل الأرض (١) ؟

جولد : أدق تشبيه الأرض هو هذا التشبيه .

الأرض فعلا بيضاوية الشكل .

والآية تحمل فهماً آخر - من ناحية اللغة -

العرب يقولون : دحى المطر الحصى - إذا باعد مكانه .

فيحتمل أن يكون معنى الآية - أن الله دحى الأرض أى فرق

القارات بعد أن كانت متماسكة .. وخريطة القارات تؤكد أنه

لو وضعت كل قارة بجوار الأخرى - اكمل بعضها بعضاً .

جولد : هذه أحدث النظريات في موضوع القارات .

عارف : هل يمكن أن يكون قول القرآن هذا من وحى

التأمل ؟

(١) سبق أن تكلمت عن هذه الآية في رسالة - هذه

عقيدتك يا ولدى - بشئ من الإسهاب . وبينت العلاقة بين

بيضاوية الأرض وتوزيع الماء والمرعى عليها .

جولد : احتمال بعيد .

عارف : وأبعد منه أن تسمع هذه الآية - التي أخبرت أن
السموات والأرض كانتا ملتصقتين ثم فلقها الله . ثم لا توقن
بأن هذا القرآن منزل من عند الله .

لقد أثبت صعود الإنسان إلى القمر ، وإحضار قطع منه
وتحليلها .

كما أثبتت دراسة الإنسان للشهب والنيازك - التي تصلنا من
الكواكب - أن المادة التي خلقت منها هذه الكواكب كلها
مادة واحدة .

وهذا يؤكد ما أشار القرآن الكريم إليه في قوله تعالى :

(أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا
رتقاً ففلقناهما) ٣٠ الأنبياء

جولد : هذه حقائق علمية لم يعرفها العلماء إلا في القرن
الماضي .

عارف : فمن علمها للنبي - صلى الله عليه وسلم - ١٤

لقد تكلم القرآن عن أسرار الفضاء - التي لم يعرفها الإنسان

إلا في القرن العشرين عندما تقدمت صناعة الطيران والصواريخ
- فأنت تعرف - يا مستر جولد - أن الإنسان كلما صعد إلى
أعلى - بالطائرة أو بالصاروخ - كلما شعر بتغيير في الضغط ،
وضيق في التنفس .

وقد اخترعت وسائل علمية لحفظ الطيارين ورجال الفضاء .
ما رأيك يا مستر جولد . . في أن القرآن شبه ضيق الصدر
الذي يصيب الحائر ، بضيق الصدر - الذي يصيب من يصعد
في السماء .

الضال يضيق صدره بكفره .

والذي يصعد في السماء يضيق صدره باختلاف طبقات الجو
ونقص الأوكسجين . قال تعالى : « ومن يرد أن يضله ^{الله} يجعل
صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء »

١٢٥ الأنعام

وكلية « يصعد » تفيد الصعود من درجة إلى درجة أعلى منها
عشقة وضيق صدر .

قال القرآن هذا - وأعلى مكان يمكن للرجل يومها أن يصعد
إليه هو جبال مكة ، وكشف العلم سر الآية عندما ركب
الإنسان الصاروخ .

فهل كان محمد خريج كلية الطيران ؟

جولد : إننا نعرف وعظ الرهبان وكلامهم .

إن محمداً يتحدث من وراء الغيب .

القرآن شيء آخر .

شيء آخر فعلاً .

وهذا الحوار يحترم عقل .

ويبدو أن الرياح تدفع السفينة أسرع وأسرع إلى الحقيقة

ديضع جولد بيدار رأسه بين يديه ويفمض عينيه ويقول :

حتى الفضاء يتحدث عنه القرآن . . . ۱۱

وراء القرآن سر عظيم .

إن العالم يفتخر الآن بدراسة الفضاء .

عارف : يا مستر جولد

تحدث القرآن عن الكون حديث الخالق من خلقه ،
وتحدث عن جسم الإنسان - حديث العالم بأسراره . واذكر
لك مثالا :

العلماء اكتشفوا أن حساسية الإنسان تتركز تحت جلده .
والقرآن أشار إلى هذا السر قبل العلم بألف عام : لقد جعل
القرآن منطقة الجلد هي منطقة إحساس أهل النار بالعذاب .

قال تعالى : إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا
العذاب . أن الله كان عزيزاً حكيماً ،
٥٦ النساء .

فكلما احترق الجلد بدلهم الله جلوداً آخر ، لأن الجلد هو
مركز الإحساس . وذلك ليذوقوا العذاب .

ويومها يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون من سوء في الدنيا .

ولكنهم يماثلون جلودهم فقط :

قال تعالى : وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ ،

قالوا أنطقنا الله -- الذي أنطق كل شيء -- وهو خالقكم
أول مرة وإليه ترجعون

٢١ فصلا

حتى عندما يخبر القرآن بمموم العذاب لباطن الجسد --
وظاهره ، يؤكد القرآن على الجلد .

قال تعالى : **والذين كفروا قطعنا لهم ثياب من نار**
يصب من فوق رؤوسهم الحميم . يصهر به ما في بطونهم
والجلود ،

٢٠ الحج

فهل يتصور عاقل أن مثل هذا الكشف العظيم لسر من
أسرار الجسد عليه محمد عن طريق الاستبطان النفسى ،
أو معايشرة البيئته ، أو من الكتاب المقدس ١١٩

• • •

وهل القرآن إذا أخبرنا . **احل تكوين الجنين فى بطن الام .**
وسبق خاق العظام للحم ، وتكوين جدار الرحم من طبقات
ثلاث ، ثم ياتي علم التشريح ويدرك الطبقات الثلاث المبارية
والامينونية والحر بونية .

وهى أنسجة لا ينفذ منها الضوء ولا الصوت .

قال تعالى :

« يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات
ثلاث ،
٦ الزمر

هل يمكن أن يكون محمد قد درس الشريعة ، وتخصص
فيه ؟ ،

والفضاء أتقن علومه ؟ .

والكون أحاط بأصله وسره ؟ .

يامستر جولد :

إن القرآن إن تحدث عن الماضي صدقه التاريخ . وإن تحدث
عن المستقبل صدقته الليالي والأيام . وإن تحدث عن الكون
صدقته العالم الحديث .

فهل هذه العلوم من نوع معارف الرهبان ؟

أم حرقها محمد من الكتاب المقدس ، وأخذها من أصحاب
معارف هزيبية --- لثة بالكتاب المقدس كما يقول : « كارل
بروكلمان ؟ »

أم نبعت من نفس محمد نتيجة التأمل ؟

لقد عرضت عليك القضية بتفاصيلها ، وتركك لك الحكم .

جولد : التفسير الوحيد الذي يفرضه العقل أن هذا القرآن
من عند الله ...

أجل ... من عند الله ...

بكل هدوء أقول : هنا الحقيقة ...

محمد رسول الله ...

محمد رسول الله ...

إن آمنتم بربكم ... فاسمعون ...

رده الجالسون الشهادين . ورددما جولد بيارضك والدموع
من الفرح قسيل ، وسيطرت على الجميع أشراقة نورانية وهنأ
بعضهم بعضا .

وحان وقت صلاة الفجر ، ووقف مسلم جديد بين صفوف
أهل الحى لأنه د جولد بيـسـارت المهندس البلجيـسـكى ،
د ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع
الشاهدين . .

الباب الثاني

الفصل الأول

- الحقائق التاريخية أولا .
- هل حاكمة الفلاسفة ؟
- عبيد قادوا الأحرار .
- الذين استرقوا الأحرار ، هم الذين يهتمون الإسلام باسترقاق العبيد !!

زار الشيخ أحد الأصدقاء ، بعد غيبة عن فيها اللقاء ، فقبل
بالترحاب واللقاء ، والبشر والهناء .

وبعد جمال الترحاب ، ومسامرات الأحباب .

سأل بعض الحاضرين عن قضايا الدين .

فهل الشيخ للسؤال وأفاض المقال :

عمار : يشغلني موضوع هام يشيره الشباب دائماً وأحب أن
أعرف رأي الإسلام فيه .

لماذا شرع الإسلام الرق ، وهو دين المساواة والحرية ؟

عارف : يخطئ كثير من الشباب فهم الدور الذي قام به

الإسلام في قضية العبيد .

مشكلة العبيد مشكلة صعبة .

بدأت مع فجر الحضارات القديمة ؛ وأقرتها كل النظم القديمة

والدهوات السماوية - التي سبقت الإسلام . حتى الفلاسفات

المثالية أقرت هذا النظام على علمته ولم تفكر في منح العبيد أى

حقوق على سادتهم ، - ولا حتى في مجال الخيال المثالي - الذي

لا يكلفهم شيئاً .

فأرسطو قال : لا يزال في العالم أناس خلقوا للسيادة ،

وأخرون خلقوا للطاعة ، فهم كالآلات الحية التي تساق للعمل ،
ولا تدري فيما تساق إليه .
هذا رأى أرسطو .

• • •

وفي جمهورية أفلاطون ،
وتقسم الناس إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : الحكام

ويدعى أن الآلهة وضعت في طبيعتهم ذهباً ليتمكنهم من
السيطرة والحكم .

القسم الثاني : المساعدون للحكام .

ويدعى أن في طبيعتهم فضة .

القسم الثالث : طبقة العبيد

ويدعى أن في طبيعتهم حديداً ليكونوا زراعاً وعمالاً .

الرومان :

وفي الرومان صاحبة القوانين الرومانية — التي لم تول
تدرس حتى الآن —

حرموا العبيد من الميراث ، والأسرة ، وحق التقاضي
أمام القضاء .

واعتبروا العبد شيئاً . لا شخصاً .

فلما دخلت الديانة المسيحية الرومان تأثر القانون الروماني
بمساحة الديانة الجديدة فحرم — لأول مرة في التاريخ — على
السيد أن يقتل عبده .

. . .

اليهودية :

أما للديانة اليهودية . . فقد أباح لليهود إذا حاربوا بلداً
وانتصروا عليها . . أن يأسروا كل نساءها وأطفالها . أما الرجال
فيجوز قتلهم ، ويجوز أسرهم ليصبحوا عبيداً إلى الأبد .
« اقرأ سفر التثنية — الاصحاح العشرين »

النصرانية :

وجاءت النصرانية . واكتفت بأن تطالب من العميد أن يطيعوا ساداتهم . وقد جاء في رسالة بولس ما يؤكد هذا . ظلت المشكلة كما هي منذ فجر الحضارة حتى جاء الاسلام . وعندئذ بدأت المشكلة تهباً للحل .

...

الاسلام :

إن أول عبد نال حريته - في الاسلام - هو بلال بن رباح الحبشي - الذي اشتراه أبو بكر وأعتقه ليخاصه من التعذيب .

فبلال أول عبد حرره الاسلام .

وأبو بكر ... أول من حرّر للعميد .

...

عماد : هذا عرض تاريخي جيد ، ولكنه موجز .
نريد أن نعرف المزيد .

هارف : الكتاب هو الصديق الذي لا يمن ، ولا يمل

فاقرأ : كتب الفقه الإسلامى فإن فيها أبواباً لحقوق العبيد .
واقراء « حقائق الإسلام » لعماس محمود العقاد ، واقراء
« لارق فى الإسلام » للأستاذ ابراهيم الفلالى « وشبهات حول
الإسلام » الأستاذ محمد قطب « والإسلام والعبيد » الأستاذ
ابراهيم النعمة .

عماد : ولكن وجودك فرصة .

عارف : الإسلام لا يعرف الشماعات ولكن يضع الحلول .
أنا أعرف جيداً أن الشرق والغرب وتلاميذهما فى بلادنا
يرددون على مسامع شبابنا هذه القضية دائماً معتقدين أنهم
سيغفزون الإسلام وينالون منه .

وقبل أن أجيبك عن موقف الإسلام من هذه القضية
أسألك .

مارأيك فى سفينة تحطمت فى وسط البحر ، وكاد يغرق
كل من فيها ، وأعرضت كل السفن المجاورة لها عن إنقاذها ،
ولكن قبطاناً ماهراً حاول بكل قوته العسكرية والجهمانية

أن ينفذ من يستطيع من الغرق .

هل ترى من العدل أن تحمله مسؤولية الذين ماتوا ، ولم
يستطع إنقاذهم ؟

عماد : لا ... ربما لو عاونته السفن الأخرى لنجا الجميع .
على أي حال يجب أن يُقدَّر ويُشكر .

عارف : لقد جاء الاسلام فوجد مشكلة العبيد عالمية الحجم
قديمة التاريخ ، معقدة الجوانب .

فوضع منهجاً متكاملًا لحلها .

لقد شرع الاسلام العتق .. ولم يشرع الرق .
« العقاد »

فوضع منهجاً متكاملًا للعتق وتحرير العبيد .
وينقسم منهج الاسلام إلى ثلاثة أقسام :

* أولاً : تأمين الأحرار على حريتهم .

* ثانياً : تصفية المشكلة ومنع الجرية العبيد .

ثالثاً : تأمين حياة الذين لم يحصلوا على الحرية وإكرامهم

• • •

فأول شيء فعله الاسلام هو تأمين حرية الأحرار . و
يكن هذا أمر سهل .

لقد كان الصبي الحر يُسرق من أهله ويباع فيصبح عبداً .
وربما عجز المدين عن سداد دينه فيصبح عبداً للمرابي -
صاحب الدين .

وغارات السلب والنهب - التي كانت تقوم بها القبائل لسرقة
المال وسبي العيال من المستضعفين لا حرج فيها .
جاء الاسلام فحرم كل هذا . ليؤمن الأحرار على حرياتهم .

قال صلى الله عليه وسلم :

ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته
= أي انتصرت عليه أمام الله =

رجل أعطى بي ثم غدر. (١)

ورجل باع حراً وأكل ثمنه .

ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه الممل ولم يعطه أجره . (٢)

وعندما آمن الإسلام الأحرار على حريتهم فقد حاصر
مشكلة ، ومنع امتداد الحريق .

• • •

تبقى أمام الإسلام مشكلة المبيد — الذين ولدوا هكذا أو
اروا عبيداً بعد ولادتهم .

أولاً : فتح الإسلام أمامهم باب الحرية العادلة .

عماد : ماذا تعني بكلمة الحرية العادلة ؟

عارف : أعني أن الإسلام راعى جانبيين .

(١) أعطى بي — أي عاهد ثم غدر .

(٢) الحديث رواه البخاري .

الجانب الأول : هو رغبة العبد في الحصول على الحرية .
والجانب الثاني : هو أنه حافظ للسيد على أمواله التي بذلها في
شراء العبد أو تربيته .

الإسلام دين عادل ... لذلك شرع عقد يبيع الحرية للعبيد
- أي عقد المكاتبه - وهو يعني أن العبد إذا رغب في الحصول
على الحرية يتفق مع سيده على مبلغ من المال يدفعه له السيد
فيصبح حراً .

قال تعالى : والذين يبتغون الكتاب عما ملكت أيمانكم
فكتابوهم إن علمتم فيهم خيراً . وآؤوهم من مال الله الذي آتاكم .

٣٣ النور

عناد : من أين يدفع العبد هذا المال ، مع أن كسبه - دائماً -
لسيده ؟

عارف : قد راعى الاسلام هذا الأمر جيداً .
فبمجرد توقيع العقد يصبح كسبه لنفسه لا لسيده .
بل طلب الاسلام من الجماعة المسلمة أن تعينه على ثمن الحرية ،
وهذا معنى قوله تعالى :

وأتوهم من مال الله الذي آتاكم ،

٣٣ النور

عماد : ربما يمتنع سيده عن المكاتبه .

عارف : الأمر القرآني يرغب المسلم في القبول .
والمسلم بطبعه ليس أنانياً .

ومع ذلك لو امتنع السيد عن التوقيع على عقد المكاتبه ،
يمكن للعبد أن يرفع الأمر إلى القاضي ، فيرغمه القاضي
على القبول .

عماد : وإذا تم توقيع العقد ، وتمصر العبد في السداد ولم
يجهد من يمينه ؟

عارف : أفق الإمام على - كرم الله وجهه - بأن العبد
إن عجز عن تدبير المبلغ ، يدفع القيمة التي درها سيده . وبمجرد
أن يدفع القسط الأول يصبح حراً ويلزمه بقيمة المبلغ (كدين
مدني) عليه تسديده عند الميمنة ، ولا يرجع للعبودية بحسب
عجزه عن السداد .

عماد : نعم الفتوى ، ورضى الله عن أمير المؤمنين على
- كرم الله وجهه -

يا فضيلة الشيخ :

أنت قلت الآن : إن الاسلام فتح باب الحرية للعبد الواجب فيها .

هل يمكن أن تتصور عبداً لا يرغب في الحرية ؟
عارف : الحرية تعنى المسؤولية .

وبعض العبيد توتروا على العمل الجسدي فقط .
ولم يهتموا بتحمل المسؤولية .

وبعضهم تبلد عنده الشعور بالعبودية ، فأصبح لا يألم بها .

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بيت إيلام

وأمانال هؤلاء لم يفكروا في دفع ثمن الحرية ، لرضاهم
العيش في ظل سادتهم .

ومع ذلك لم يحرمهم الاسلام من الأمل في إهداء الحرية
لهم بلا ثمن .

عماد : يحصلون على الحرية بدون أن يطلبوها ؟
عارف : نعم .

شرح الاسلام باب المتق للقرية إلى الله - سبحانه - وقد أخبر
النبي - ﷺ - أن من أعتق عبداً حسبة لوجه الله ، أعتق
الله رقبة من النار . وأما رجل أعتق امرأة مسلماً امتنقذ الله
بكل عضو منه عضواً منه - أي من سيده - من النار .
رواه البخاري ،

ولقد كان أبو بكر الصديق هو أول من أعتق عبداً في
الاسلام . عندما اشترى بلالا وأعتقه .

وكان عمر بن الخطاب يذكر دائماً هذا السبق لأبي بكر فيقول :

رحم الله أبا بكر .

كان سيدينا .

وأعتق سيدينا .

وأمم الغابة ج ١ ص ٢٠٩ ،

وقد دعا القرآن لفك رقاب العبيد ، كما دعا الحسن
معاملتهم .

فشرح الإعتاق على وجه القرية لله . قال تعالى :

« فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة . فك رقبة ،
سورة البقرة

كما شرع الله العتق في كفارات ثلاث ، بالنص القرآني .
القتل الخطأ ، الظهار ، وكفارة اليمين .
أولاً : من قتل مسلماً خطأ . فليعوض المجتمع المسلم بتحرير
رقبة من العبودية . قال تعالى :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ . . .
« ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة . . .
« ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا ، ٩٢ النساء

ثانياً : إذا حرم الرجل امرأته عليه وقال لها :
أنت محرمة علي كظهر أمي . ثم هزم على الرجوع فيها
قال ..

فلا تحمل له زوجته حتى يكفر عن ظهاره .
قال تعالى :

« والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير
رقبة من قبل أن يتأسوا . ذلكم توعظون به واقع بما

ثالثاً : شرع الاسلام كفارة اليمين - الذي أقسمه المسلم على شيء في المستقبل يعزم أن يفعله ثم لم يستطع . أو يمرم على عدم فعله ثم فعله . فعليه كفارة هذا اليمين . قال تعالى :

لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ . (٢)

(١) روى أن خولة بنت ثعلبة ظاهرها زوجها فلما اشتكت للنبي قال لها النبي : لا أراك إلا قد حرمت عليه . فلما اشتكت أمرها الله أنزل الله حلالاً لمسكاتها وشرع الكفارة .

ومضمون هذا الحادث يؤكد أن القرآن من عند الله ، لأن القرآن أفتى بغير ما أصر عليه النبي من تحريم خولة على زوجها أوس بن الصامت .

(٢) كأن يقول لهم والله ، أو لا والله ، وهو لا يقصد اليمين . وكان يقسم على شيء في الماضي يعتقد أنه صادق فيما يقول ثم يتبين خطأه .

ولكن يؤخذكم بما عقدتم الإيمان . (١)

فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم
أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ،

٨٩ المائة

فكلما جاءت فرصة للخير وجهها الاسلام إلى تحرير العبيد .

وإذا كانت هذه الحول يتبناها المجتمع المسلم ، فإن ذلك
لا يصرف همه الدولة عن المساهمة في هذا الأمر الخطير . فقد

جعل القرآن سهماً من الزكاة لفك الرقاب .

قال تعالى :

الإنا الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة

٦٠ التوبة

قلوبهم وفي الرقاب (١)

الدولة والأفراد وحتى العبيد أنفسهم يتعاونون على منج

(١) بأن يقسم على شيء في المستقبل أن يفعله أو لا يفعله

ثم لا يلتزم بيمينه .

لحرية العبيد - كتعارفهم على ضروريات الحياة .
عماد : وإذا لم يقدر العبد على شراء حريته ، ولم يسعده
الحظ فيحظى بمن يهبها له .

هل يعيش عبداً معذباً ؟

عروف : يبدو أنك لم تدرس صورة المجتمع في ظل
الإسلام .

الناس في ظل الإسلام سواسية كأسنان المشط . لا فضل
لاحد على أحد إلا بالتقوى .

التقوى التي جعلت من بلال مؤذناً للرسول وخازناً له . .
التقوى التي جعلت سلمان الفارسي من آل بيت النبي صلوات الله وسلامه
ورضى الله عنهم .

وجعلت أسامة بن زيد أحب الناس إلى رسول الله صلوات الله وسلامه .
واممع هذه الحادثة :

فرض عمر بن الخطاب لأسامة بن زيد - رضي الله عنهما -
خمسة آلاف درهم - كل عام . بينما فرض لعبد الله بن عمر
ابن الخطاب ألفي درهم فقط .

فقال عبد الله لأبيه :

فضات أسامة على . وقد شهدت من المعارك ما لم يشهد .

قال عمر - رضى الله عنه - :

إن أسامة كان أحب إلى رسول الله منك ، وأبوه كان أحب
إلى النبي من أبيك .

« أسد الغابة ج ١ ص ٦٥ »

فالتقوى . . والتقوى فقط . . هي دائرة التفاضل في

المجتمع الاسلامي .

وقد عمل الاسلام جاداً على إزالة التعاميد التي تركها الومن

في وجه العبيد . وأعاد لهم الكرامة السليبية .

أولاً : فتيان لا عبيد .

استبدل القرآن كلمة (عبد) وكلمة (أمة) بكلمتي (فتى وفتاة)

وذلك ليبري الأمة على خلق جديد .

قال تعالى :

إذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ،

٦٠ الكهف .

وفي قصة يوسف :

« وقال انفتيانہ اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها ،

٦٢ يوسف

وأنت تعرف يا عماد أن كلمة في تطلق على الحر وعلى العبد

سواء بسواء .

قال تعالى عن إبراهيم - وهو حر ، وابن حر .

« قالوا سمعنا في يذكرهم يقال له إبراهيم ،

٦٠ الأنبياء .

كما استبدل كلمة « أمة » الالهي بكلمة فتاة .

قال تعالى :

« ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات

فن ما ملأكن أيامكن من فتياتكن المؤمنات ،

٢٥ النساء .

لذلك نرى النبي - ﷺ - يؤدب الناس بأدب القرآن

فيقول :

لا يقل أحدكم يا عبدي ويا أمي ...

بل يقل : يا فتى ويا فتاتي .

عماد : لكن جاء في القرآن الكريم « والصالحين من عبادكم وإيمانكم » ٢٢ النور

عارف : هذا صحيح .. أكرمك الله .
هذه هي الآية الوحيدة - في كل القرآن - التي استعملت
كلمة عبادكم .

لكنها جمعت (عبد) على (عباد) .
وأنت تعرف أن الجمع على (عباد) يخالف الجمع على (عبيد)
يقال في مقام المدح « عباد » .

قال تعالى « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً »
٦٣ الفرقان

وفي مقام الغضب يجمع القرآن كلمة (عبد) على (عبيد) .
قال تعالى : « وما ربك بظلام للعبيد »
٤٩ فصلت

فاته - سبحانه - قال : « والصالحين من عبادكم » ولم يقل
والصالحين من عبيدكم .

هذا من ناحية لفظ الآية الكريمة .

أما موضوع الآية . . فهو إلزام المجتمع المسلم أن يعامل في تزويج العبيد والإماء - حتى يسد حاجتهم النفسية ويحفظهم من الانحراف .

مؤلاء هم العبيد في ظل الاسلام
أوجب الاسلام على المأداة :

إطعامهم بما يأكلون . وكسوتهم بما يلبسون . ثم تزويجهم .

يا عماد :

العبيد - في ظل الاسلام - جزء من الأسرة الإنسانية الكبيرة .
يتزوج الأحرار من العبيد .

قال تعالى : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات
المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات -
والله أعلم بآيائكم - بعضكم من بعض . فأنكحوهن بإذن أهلهن
وأنوهن أجورهن بالمعروف ،
٢٥ النساء

ويستفاد من الآية الكريمة .

- ١ - رفع الحرج - الذي كان يصيب العربي - إذا تزوج من أمة .
- ٢ - أن الأحرار والإماء أسرة واحدة - بعضهم من بعض - لأنهم جميعاً من آدم . وآدم من تراب .

وبعضكم من بعض في الايمان أيضاً .

وما وراء الايمان أمور لا ينبغي الالتفات إليها .
د إن أكرمكم عند الله أتقاكم ،

(راجع تفسير آيات الأحكام ج ٢ ص ٧٩)

وقد أكد النبي هذا الإغناء في قلوب الناس .

• إخوانكم خولكم . . . فن كان أخوه تحت يده . . .
فليطعمه مما يأكل . . . ويالبسه مما يلبس . . . ولا تكلفوهم

ما لا يطيقون . . . وإن كلفتموهم فأعينوهم ، ((صحيح مسلم))

ويفهم أيضاً من الآية السابقة أن الفتاة جزء من الأسرة

• التي تعيش فيها - مع ساداتها - وساداتها هم أهلها .

• فانكحوهن بإذن أهلن ، أي بإذن ساداتها . وانكن

ظلال التعبير القرآني له أمر عظيم - فلم يقل : فانكحوهن
بإذن ساداتهن . بل قال بإذن أهلن ، ليثبت الولاية .

صاحب البيت : يا عماد يا ولدي لقد شغلت الفيسخ وأتعبته
وأود أن تسأل الشيخ عن حاله وعياله ؟

عارف : والله كلهم بخير والحمد لله .
هشام في التعليم الثانوي وشيخاه في السادس الابتدائي ،
وأمامهم تعيش في خير حال - والحمد لله -

أبو عماد : إن شاء الله سنزوج عماداً لشيخاه . وهشاماً
لوقاه ابنتي .

ما رأيك يا شيخ عارف ؟

عارف : هذا حديث سابق لوقته .
لا بد من نمو الأولاد أولاً . ثم يصبح لهم الاختيار .
أبو عماد : ورأينا يا شيخ عارف ؟

عارف : رأي الوالدين استشاري فقط .
والكلمة الأولى والأخيرة للشباب والفتاة .

عماد: دهونا من موضوع الزواج ازرع إلى موضوع العبيد

عارف: لقد أصبحت أنسى كثيراً يا عماد .

ما هي النقاط التي ذكرتها لك ؟

عماد: أنت تمتحنى يا شيخ عارف ..

لقد تحدثنا عن تاريخ المشكلة .

وتحدثنا عن موقف الإسلام من تأمين حرية الأحرار .

وفتح باب العتق العادل - الذي يكفل للسيد حقه ، وللعبد حريته .

وتحدثنا عن هبة الحرية . قربة إلى الله ، أو كفارة لقتل

خطأ ، أو ظهار أو يمين .

وعرفنا حين معاملة الاسـلام للعبيد في حياتهم المسادية

والأدبية .

عارف: أحسنت يا عماد .

ومن ناحية حرمة الدم .

فقد ساوى الإسلام بين دم العبد ودم الحر .

قال - صلى الله عليه وسلم - : من قتل عبده قتلناه . ومن جدد عبده
جددناه . ومن أخصى عبده أخصيناه ،

رواه البخاري ومسلم

فالدماء متكافئة بين الأحرار والعبيد .

عماد : لكن القرآن يقول : العبد بالعبد .

عارف : إقرأ الآية من أولها فإنها عامة في تسوية الدماء

بين المسلمين - أحراراً وعبيداً ، رجالاً ونساء -

قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في

القتلى ... الحر بالحر .. وللعبد بالعبد .. والآث بالآث .

١٧٨ البقرة

فصدر الآية يفيد عموم القصاص في كل دم أريق ظلماً .

و كتب عليكم القصاص في القتلى ،

سواء كان المقتول حرماً أو عبداً . رجلاً أو امرأة .

أما قوله تعالى « للحر بالحر ، وللعبد بالعبد .

فجاء علاجاً لمشكلة جاهلية .

بعض عشائر العرب كانت تأخذها البرة بالإثم .

فإذا اعتدى عبد من عشيرة أخرى على عبد منهم يقسم أحدم
أن يقتل حراً - بريئاً - بدم العبد المقتول منهم ، وإن قتلت
امرأة منهم يقتلون بدمها رجلاً - ولو كانت القاتلة امرأة .

وفي ذلك من الظلم ما فيه ، لأن القاتل ينجو ويقتل مكانه

برىء .

فنهام الله عن ذلك ، وطلب منهم العدل في القصاص .

فلو قتل عبد عبداً فالقصاص من القاتل نفسه .

لا يجوز أن تتعداه إلى برئ . ولو قتلت امرأة امرأة

فالقصاص من القاتلة .

• • •

عماد : بارك الله فيك يا شيخ عارف . ولكن ما معنى

الآية الكريمة ؟

والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت

أيمانهم فإنهم غير ملومين ، ٦ المؤمنون

عارف : يا عماد . لقد أباح الاسلام للسيد أن يعاشر
فتاته - غير المتزوجة - معاشرته الأزواج .
وذلك لإشباع حاجتها كأنتى من ناحية -
وليفدق عليها المصطاب والزينة من ناحية أخرى .
لأنها ستعيش في فراشه .

والأم من هذا أنه إن رزق منها بمولود - واعترف بنفسه
منها - فإنها تصبح أم ولد - وينقلها ولدها إلى الحرية بمجرد
موت أبيه .

هذا إذا لم تكن متزوجة .

أما إذا كانت متزوجة ، أو زوجها سيدها - من رجل آخر -
فلا يجوز لسيدها أن يعاشرها ، لأن الاسلام لا يعرف
شيوع الجنس .

أبو عماد : يا شيخ عارف شغلك عماد عفا .
والعشاء جاهز .

وقد أعددت لك سمكة نهريه طيبة .

قم يا شيخ . . .

« يقوم الشيخ ويجتمع الأحاب على الطعام »
وبعد الطعام يعود الحوار :

عماد : كل شيء تكرمت به في الحديث عن العميد أراح

صدرى . . .

ولكن لماذا لم يحرم الإسلام الرق نهائياً كما حرم
الخمر ؟

عارف : الحلول النظرية سهلة .

ولكن الإسلام يعالج الأمور بحكمة وعدل .

فهو يبحث عن الحرية العادلة . ورحم الله أحمد شوقي
وهو يصف منهج النبي في معالجة الأمور فيقول :

داويت متتداً وداووا طفرة

وأخف من بعض الدواء الداء

عماد : لكن الغرب استطاع إلغاء الرق بقانون واحسد .

عارف : لماذا ألغى الغرب الرق ؟

عماد : احتراماً لحقوق الإنسان .

« يضحك الشيخ ، ويتعجب عماد من ضحكك ،

عماد : هل تضحك من اجابتي يا فضيلة الشيخ ؟

عارف : لا يا عماد .

ولكنني أحب أن تعرف أن الحقيقة شيء ، وساررده أجهزة
الأعلام في الغرب واسمه من تلاميذ الغرب في بلادنا ، شيء آخر

إن الذئب إذا لبس ثوب الحمل الوديع ، وأمسك بمسبحة
المبارك ، تفضحه أفعاله حتما .

عماد : « مستغربا ، ماذا تعني يا فضيلة الشيخ ؟

عارف : يا ولدي . . الغرب لا يعرف القيم .

منظومة من ظن يوماً أن الشعب دين .

إن تجارة العبيد في الغرب كانت من أرباح التجارات ،
وكان الغرب يغير بقوافل كبيرة مسلحة على أفريقيا
ويسرق أطفالها ، ويسبي شبابها لبيعتهم في أوروبا .

حدث ذلك بعد أن اتصلت الملاحة على ساحل الأطلسي ،
وارتبط العالم الحديث بالعالم القديم .

ففي أقل من خمسين عاماً نقل تجار الغرب إلى أوروبا

عبيداً يبلغ عدد الباقي من ذريتهم - بعد القتل والاضطهاد
نحو خمسة عشر مليوناً في الأمريكتين . وهو عدد يضارع
خمسة أضعاف ضحايا النخاسة - يعنى بيع العبيد - في
القارات الثلاث منذ ألف عام .

د حقائق الإسلام لعباس محمود العقاد ،

في خمسين عاماً استرقوا حوالى ١٥ مليوناً فهل الغرب
يعرف التقييم ؟

عماد : لمكن الغرب بعد ذلك ألغى تجارة العبيد وحرره
عارف : يا عماد يارلدى .

يوم أن كان الغرب بحاجة إلى خدم يستخرجهم لقضاء حاجته
في أوربا وأمريكا . كان يسمح بسرقة الأحرار السود ، ونقلهم
لبلاده ، وبيعهم في سوق العبيد .

فلما جاء الغرب واستعمر بلادنا ، وعزم على سرقة خيراتنا
وجد نفسه بحاجة إلى بقاء السود في بلادهم ليورعوا
الأرض ، وينقبوا عن المعادن ، ويخدمهم في الممارك الخاسرة .

أبقى الاستثمار على السود في أفريقيا عندما احتاج إلى الأيدي
العاملة الرخيصة في أفريقيا .

أبقاهم عبداً له وتحت سياطه ، وحرّم نقلهم إلى أوروبا .
احتراماً لأخلاق المنفعة - التي يؤمن بها الغرب .

يا عماد . . .

لأن دلالة العمل أعظم من دلالة الشعارات .

كيف نصدق الغرب في دعواته حقوق الإنسان ونحن نرى
داخل بلاده ، مشكلة الملونين ، لم تجد لها حلاً حتى الآن .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد :

فإن في الأمريكتين إلى اليوم أمة من السود معزولة
بأنسابها وحظوظها وحقوقها العملية تماماً عن المجتمع .

حقوق الإسلام

إن الرجل الأسود - حتى اليوم - لا يدخل مطاعم
البيض . ولا يدخل مدارس البيض . ولا يركب سياراتهم .
ومع ذلك لا يستحي الغرب من دعواه تحرير العبيد ،
واحترام حقوق الإنسان .

* * *

نقول السيدة عائشة رضي الله عنها :

ما بعث رسول الله ﷺ - زيد بن حارثة - في سرية
إلا أمره عليها قائداً .

ولو بقي زيد بن حارثة لاستخلفه النبي بعده .

أسد الغابة - ص ٢٧٧

وعندما استشهد زيد بن حارثة ، وجهنم بكى النبي عليهما قال :
أخواني ، وهونسي ، ومعدناني .

ولم يذكر القرآن إسم أحد من الصحابة إلا زيد بن حارثة
في قوله تعالى : فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها ،

٣٧ الأحزاب

يا عماد . . .

هؤلاء هم العبيد في ظل الاسلام .

لقد عين النبي أسامة بن زيد - وهو في الثامنة عشر من
عمره قائداً على جيش كبير ، كان في طريقه إلى أول معركة
دولية بين العرب والروم .

عارف : كذلك الرق - الذي اعترف به الاسلام باق الى
يوم القيامة .

الإسلام ألغى كل أنواع الرق ، ولم يبيع منه إلا استرقاق
أسير الحرب - الذي خرج من يديه يريد حرب الاسلام
وإضعاف شأنه . فوقع أسيراً . ومع ذلك لم يحتم الإسلام على
القائد المسلم أن يسترق كل أسير .

بل جعل للقائد الخيار بين أمور ثلاثة :
أولاً :

أن يمن عليه بالحرية بلا مقابل - إن علم أن الأسير من
النوع الكريم ، ويمكن أن يصلحه العفو ويعيده إلى صوابه .
بشرط أن يكون المن عليه بالحرية لا يقوى صفوف الأعداء .
ثانياً :

أن يقبل منه الفداء - مادياً كان - هذا الفداء أو خدمته
تعود على المسلمين بالخير - كما فعل النبي ﷺ - مع أسرى بدر .
ثالثاً :

تبادل الأسرى .

وقد أجاز أبو يوسف ومحمد - من تلاميذ أبي حنيفة -
عملية تبادل الأسرى - بين المسلمين والمشركين - واستدلوا
على ذلك بما روى أن النبي ﷺ استبدل أسيراً من بني عامر بن
صمصمة بأسيرين من المسلمين كانت ثقيف قد أسرتها .

(تفسير آيات الأحكام ج ٤ ص ٧٠)

وعملية تبادل الأسرى هي النظام المعروف في كل شعوب
الأرض . ويمكن الإسلام فاقها بالمن على الأسير فأليفاً لقلبه .
قال تعالى :

وإذا لقيتم الذين كفروا فاضرب الرقاب . حتى إذا
أخنتهم فشدوا الوثاق . . . فإما مناً بعد . . . وإما فداء . . .
حتى تضع الحرب أوزارها . . .

فالإسلام شرع استرقاق الأسير - حتى يفدى نفسه ، أو
تقوم الجماعة التي دفعته للمعركة بفدائه .

أو يظل رقيقاً في مجتمع مسلم فوري حياة المسلمين وكرمهم
في معاملة الأسرى فربما يهديه عقله للإسلام ، فالرق باق مابقيت
الحروب .

والاسلام كان يسترى الاسير كما كان محصوم الاسلام
يسترى من المسلمين .

وكل دول العالم حتى الآن تحبس الاسرى في السجون الحربية
حتى تفديهم اموالهم .

عماد : الآن عرفت حقيقة الامر . وفهمت منهج الاسلام
ان الذين قرأنا لهم ظلموا الاسلام وجعلوا منهجه .

طارف : العجيب يا عماد ..

ان الذين يتهمون الاسلام باسترقاق العبيد ، هم الذين
استعبدوا الاحرار !!

عماد : هذا واقع صحيح .. اكرمك الله .

وطلب المجلس من الشيخ ان يريد من البيان
المفيد ، وان كان الشيخ قد اعتذر ، لان السائق
قد حضر ، فإلى لقاء جديد لنهل ولصنفيد .

الفصل الثالث

في هذا اللقاء :

• الطبيعة وحدها .

• ما جئت لأنقض الناموس .

• زهرة في الصحراء .

• أيهن أقرب إلى قلبه .

• استن كأحد من النساء .

عزم الشيخ على زيارة الويف البديع ، في
إجازة فصل الربيع . لينعم بخيره الوفير ،
وجمال الهدير ، وشهقة المصافير . وأدرك
شباب القرية ، أن الله ساق لهم هدية .
فسارعوا إلى الشيخ فرحين ، ليتمتعوا
بخدمته في الدين . وفرح الشيخ بالشباب ،
وقدم لكل سؤال جواب .

وانت : حمداً لله على سلامتكم - يا شيخ عارف -

لقد وجهتني إلى القرامنة ، فدللتني على كنوز زاخرة .

عارف : ما زلت تقرأ للمستشرقين ؟

وانت : أنا لا أعصى لك أمراً يا شيخ عارف .

فخالفه الطبيب ، قد تسبب الموت .

لقد قرأت فقه الميرة للإمام محمد الغزالي ، والأستاذ محمد
سعيد البوطي ، وحياة محمد . الأستاذ هيكل . وأعجبني
اهتمامه بالمستشرقين والرد عليهم . وأقرأ الآن « زاد المماد » ،
والروض الأنف .

بقيت عندي مسألة واحدة، أحب أن أنتفع فيها بالحوار
معك . وهي مسألة تعدد زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم -
بل و تعدد الزوجات ، بصفة عامة .

عارف : الحياة الزوجية عند المرأة تمطل في كل شهر مدة
قد تصل إلى عشرة أيام .

كما تمطل بعد الحمل والولادة ، مدة قد تصل لشهرين .
وطباع الرجال مختلف .

فلو تزوج رجل متطرف جسدياً بامرأة أخرى فله بعض
العذر حتى لا يقع في جريمة الزنا .

ولكن هذا السبب لا يعنيننا كثيراً .

فالرجل السوي أقوى من رغباته .

ولكن تشريعاً كالاسلام ، يجب أن يأخذ في اعتباره كل

الطباع البشرية حتى يتسع لسكل الناس .

والإباحة غير الإلزام أو الندب .

• • •

ولكن المهم في الموضوع أن الاحصائيات العالمية تؤكد
زيادة عدد النساء على عدد الرجال .

خصوصاً بعد الحروب الكبيرة التي تأكل الرجال .

فلو تزوج كل رجل بامرأة واحدة لبقى عدد كبير من النساء
بلا زواج .

يعيش طاقات معطلات أو مهسولات جنسياً . فأى الحلين
أكرم للمرأة ؟

وائل : بدون شك الحل الثاني لا يرضاه كريم .

عارف : من أجل ذلك أباح الاسلام تعدد الزوجات .

وائل : يعني المشكلة مشكلة طبيعية والاسلام شرع التعدد
ليعالجها .

عارف : ليس الاسلام وحده الذي أباح التعدد .

الديانة اليهودية قد أباحت التعدد بلا قيد .

والديانة النصرانية هي امتداد لشريعة التوراة . لأن السيد

المسيح قال :

« ما جئت لأنقض التاموس ،

وائل: قلت يا فضيلة الشيخ إن التوراة أباحت التعدد بلائيد.
عارف: نعم.

القرآن وحده هو الذي قيد العدد بأربع نساء .
أما التوراة ، فأخبرت بأن سليمان عليه السلام - تزوج
ثلاثمائة امرأة بمقد دائم ، وسبعمائة امرأة من الإماء .

د سفر الملوك ١١ - ١ ،

وهذا الخبر موجود في الكتاب المقدس - الذي يؤمن به
اليهود والنصارى .

نجيب : د متعجباً ، ألف امرأة !!

وائل : الأعبى يا نجيب أن هذا الموضوع لا يثيره أحد من
المستشرقين الذين يهاجون سيرة النبي ﷺ ودائماً يركزون على
زواج النبي وحده .

عارف : اليهود - في العالم - يتمسكون في الإقتصاد ،
وأجهزة الإعلام .

وسليمان . . بهمهم يا وائل .

وائل : هذا صحيح .

ولكن بقي عندي سؤاله :
لماذا زاد النبي على أربع نساء ؟

نجيب : هذه ميزة كانوا الله بها النبي ﷺ .

عارف : هل لإجتماع تسع نساء أرا من ميزة ومكافأة ؟
سأضرب لك مثالا يا وائل :

أحد أصدقائي له ولدان بالجامعة .

أعطى الأول ألف جنيهه ، وقال له : ليس لك عندي أى
مال بعد ذلك .

وأعطى الثانى عشرة جنيهات ، وقال له : إن أنفقتها فى
أسبوع نأخذ غيرها .

فأى الولدين فضله أبوه فى العطاء ؟

نجيب : الثانى طبعاً .

لأن باب العطاء أمامه مفتوح .

عارف : بدون تشبيه والله المثل الأهل .

للمسلم أن يجمع أربع نساء فى عصمته .

فإذا ماتت واحدة أو طلقها ، ومضت مدة عدتها . فله أن

يتزوج غيرها ، الباب مفتوح أمامه .

إذا كان قادراً عادلاً (١) .

أما النبي ﷺ فقد أباح الله له تسع نساء ثم قال له (لا يجمل
لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك
حسنهن)

والاحزاب ٥٢ ،

وأنزل : ولا يكن هل يعتبر زواج النبي ﷺ من التسع نساء
استثناءً من الآية الكريمة . قال تعالى (فانكحوا ما طاب لكم
من النساء مثنى وثلاث ورباع) النساء ٣

عارف : النبي لم يخالف نصاً قرآنياً أبداً . لقد نزلت الآية
القرآنية الكريمة التي حددت العدد بأربع فقط نزلت في السنة
الثامنة من الهجرة ، وكان النبي يومها قد جمع كل نسائه .

(١) المتزوج من أربعة لو طلق واحدة ممنه فليس له الحق
أن يتزوج غيرها حتى تنتهي عدتها ، أي عدة الزوجة المطلقة
وهذه الحالة تجب العدة فيها على الرجل ، كما تجب على المرأة .
« راجع حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ٥٠٣ »

نجيب : هل تحفظ تاريخ نزول سور القرآن يا فضيلة الشيخ
عارف ؟

عارف : يا نجيب سورة النساء التي حددت للعدد بأربع
نزلت بعد سورة الممتحنة وسورة الممتحنة نزلت والنبي يستعد
لفتح مكة . ومعلوم أن سبب نزولها هو إرسال (حاطب بن
أبي بلتعنة) للمشركين يخبرهم بعزم النبي على فتح مكة .

فالنبي عندما تزوج تسع نساء كان الجمع مباحا لأي عدد .

ولما نزلت آية التحديد بأربع فقط ، كان بعض الصحابة
عنده أكثر من أربعة .

فاحتفظ بأربعة منهن ، وطلق الباقيات .

واتل : لماذا لم يطلق النبي ﷺ الزائدات ؟

عارف : أي امرأة طلقت لها الحق أن تزوج من رجل

آخر .

أما نساء النبي ﷺ فلا يجوز لأي مسلم أن يتزوج منهن .

لأنهن أمهات المؤمنين . قال تعالى : و النبي أولى بالمؤمنين

من أنفسهم . وأزواجه أمهاتهم ، الأحزاب .

لذلك حرم الله على المؤمنين أن يتزوجوا نساء النبي بعده .
 قال تعالى : « ما كان لکم أن تؤذوا رسول الله ولا أن
 تنكحوا أزواجه من بعده أبداً » الأحزاب ٥٢
 فلو طلق النبي إحدى نساءه لبقیت بلا زوج .
 من أجل ذلك أحل الله نساء النبي له . قال تعالى : « يا أيها
 النبي إنا أحلنا لك أزواجك » الأحزاب ٥٠

• • •

وعنك سبب آخر لبقاء نساء النبي عنده .
 وهو أن زواج النبي زواج رسالة .
 تختلف مقاصده عن أى زواج آخر .
 فلو طلق النبي واحدة منهم ، لصاحبت الحكمة من الزواج بها
 نجيب : ما هى المقاصد التى تعنيها ؟
 عارف : مقاصد أربعة :

- أولاً : إنسانى .
- ثانياً : سياسى .
- ثالثاً : تشريعى .

رابعاً : تعلیمی .
وأوجز الحديث في شرحها .

• • •

السبب الأول :

سبب إنساني . كرم النبي - ﷺ - به أرمال الشهداء -
الذين دفعوا أرواحهم لحماية الاسلام تاركين وراءهم أرمال
ويتامى .

فالارملة المعجوز السيدة سودة بنت زمعة - رضي الله عنها -
تقول : والله لا حاجة بي إلى الرجال ، ولكنني أردت أن أبعث
مع زوجات النبي أمهات المؤمنين .

والارملة الثانية - أم سلمى - وهي أرملة ذات يتامى
تزوجها النبي بعد استشهاد زوجها ، حماية لها ورعاية لليتامى .
والارملة الثالثة - هي السيدة حفصة بنت عمر - استشهد
زوجها وعرضها أبوها على أبي بكر فاعتذر ، وعرض زوجها على
عثمان فاعتذر ، فكرم النبي عمر وتزوج من حفصة .

• • •

السبب الثاني :

سبب سيامي - استطاع به النبي ﷺ أن يؤلف قلوب
عدائه الذين حاربوه خوفاً على مراكم الجماعة .
لقد صاهرهم النبي فصر ما في قلوبهم من حقد على
نبي وعلى دعوته .

تزوج من السيدة أم حبيب بنت أبي سفيان .
وتزوج من السيدة صفية بنت حيي بن أخطب ملك اليهود .
وتزوج من السيدة جويرة بنت سيد بن المصطلق .

وقد أجمع المؤرخون أن هذا الزواج قد فعل ما لم تفعله
عروب الصغرية - فقد ألف القلوب التي طالما حقدت على
الاسلام وعلى نبي الاسلام ، فدخل أقوامهم في دين الله أفواجا (١)

(١) معلوم من دراسة التاريخ أن زواج النبي من السيدة
صفية بنت حيي لم يؤت الثمرة التي رجأها النبي من الزواج - وهي
دابة قومها من اليهود .

السبب الثالث :

سبب تشريعي . أراد الله به أن يكون النبي هو أول من يطبق الأمور المحرجة من الشريعة على نفسه أولاً . فعندما ألقى الإسلام نظام النبي أراد الله أن يحو كل الآثار التي كانت تترتب عليه . وأم هذه الآثار أن العرب كانت تحرم على الرجل أن يتزوج من مطلق متبناه ، فأمر الله نبيه أن يتزوج من السيدة زينب بنت جحش - بعد أن طلقها زوجها - زيد بن حارثة - الذي كان النبي تبناه قبل النبوة - وهو أصعب زواج على النبي ﷺ لما أثاره من كلام المنافقين .

ولكن الله هو الذي ووجه . قال تعالى :

« فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ، لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعياتهم إذا فوضوا منها منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ، ١٢٧ الأحزاب »

• • •

السبب الرابع :

هو أن زوجات النبي ﷺ كن مدرسات في جامعة النبي

وَسَيِّدُكُمْ بِأَخْذِنَ عَنْهُ مَا يَتَعَاقُ بِالْمَرْأَةِ مِنْ أَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ ، وَيَعْلَمُنَ نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ . وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ أَنْ يَلْزَمْنَ بَيْتَ النَّبِيِّ لِيَتَعَلَّمْنَ مِنْهُ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يَعْلَمُنَ النَّاسَ . قَالَ تَعَالَى : وَإِذْ كُنَّا فِي بَيْوتِنَا نَنْبَغُكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ،

٢٣ الأحزاب

• • •

مشيئة الله .

وقد شاء الله أن لا يشغل نساء النبي بالحمل والولادة وتربية الأطفال ، حتى لا يشتغلن عن الرسالة — لقد كان نساء النبي صالحات للحمل ، وبعضهن أنجبت أطفالا قبل الزواج من النبي ، والنبي كان صالحا للإنجاب ، وقد أنجب بالفعل قبل الزواج ممن لقد أنجب من السيدة خديجة ، ورزقه الله بإبراهيم من السيدة مارية القبطية .

فأمر — دم حمل نساؤه منه — — وَسَيِّدُكُمْ — ؟ لأنه زواج رسالة يا نجيب .

نجيب : الآن عرفت حكمة الله البالغة من زواج النبي وَسَيِّدُكُمْ

ولو كان النبي يربط بالزوجات ما يزيد عن من زوجاتنا لعدد
الزوجات في سن الشباب .

الشيخ : النبي ﷺ لم يه — عدد الزوجات إلا بعد الثالث
والخمسين من عمره . وقد قضى صدر شبابه مع السيدة خديجة التي
كانت تمثل في حياته دور الأم والزوج .

نجيب : تعدد الزوجات لا يعيب الرجل — ولكن الذي
يعيبه أن يشغله هذا الزواج عن الأمور الكبيرة . أو يعيل قلبه
إلى زوجة فيظلم الباقيات ، ويضيع أولادهن .
الشيخ : أحسنت يا نجيب .

لقد كان النبي ﷺ — نموذجاً للعامل المطلق بين نساءه .
ولو درسنا التاريخ لوجدنا أن فترة تعدد الزوجات في حياة
النبي هي فترة الجهاد المقدس فقط .
وهي الفترة التي انشغل فيها النبي في كل لحظة من حياته
بالدفاع عن دولة الحق وتثبيت أركانها . ويكنكم يا أولادى أن
تقسموا حياة النبي إلى أربعة مراحل متميزة :
أولاً : مرحلة الشباب :

لا تعرف العفاف .

فلو عاش كما يعيش غيره ما غاب أحد عليه ذلك ولما كان الله
أراد عصمته وطهارته في مرحلة الشباب التي تفسر شخصية
الإنسان وتكشف معدنه .

...

ثانياً : الزوج الكريم .

المرحلة الثانية في حياة الرسول - ﷺ - من الخامسة
والعشرين ، إلى الثالث والخمسين .

وكان النبي فيها زوجاً لامرأة واحدة .

كانت تسكبه بخمسة عشر عاماً .

وتزوجها ثانياً .

ومع ذلك لم يتزوج عليها وفاء لها واكتفاء بها ولم يكن
هناك مانع عرفي من تعدد الزوجات .

فلما ماتت ظل النبي بلا زوجة خمس سنوات .

وانتهت مرحلة الشباب وجاءت الشيخوخة .

المرحلة الثالثة :

مرحلة الجهاد المندس .

من الثالث والخمسين إلى الواحد والستين . هي مرحلة الجهاد

والتعب .

وهي المرحلة الوحيدة التي عدد للنبي فيها الأزواج . مع كثرة

انفخاله وجهاده .

• • •

المرحلة الرابعة :

من الواحد والستين إلى أن لقي بالرفيق الأعلى . وهي

مرحلة النصر والرفوه والمعاهدات .

لقد تم فتح مكة . وسقطت دولة الأصنام إلى الأبد .

وبدأت ثمار المعارك تدنو قطوفها .

وأوشك النبي أن يستريح بعض الشيء .

ولكن هذه المرحلة حرم الله فيها على النبي الزواج .

لأن الزواج قد أدى رسالته .

قال تعالى :

ولا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج
ولو أعجبك حسنهن ، الأحزاب ٥٧

نجيب : سبحان الله .. ١١

المرحلة التي ينشغل فيها الإنسان عن أهله ، هي وحدها
مرحلة تعدد الزوجات . ١٢

لقد أيقنت أنه زواج رسالة . .
ألف القلوب وجمع الأمة .

• • •

وائل : ليت فضيلة الشيخ يحدثنا عن بيت النبي ، الذي جمع
تسع نساء .

حارف : إن شاء الله - بعد تناول الطعام .
يجلس الجميع على الطعام يتجادلون أطراف الكلام .
وتدور الذكريات بما فيه المعطات .
فلتترك الجماعة ساعة أو بعض ساعة .
وائل : بالله عليك يا شيخ حارف .

هل كان النبي في مثل هذا النعيم ؟

الشيخ : د بيتهم ويقول : روت السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن بيت النبي - صلوات الله وسلامته عليه - كان يقضى الشهر والشهر ولا يوجد في البيت نار على طعام . الحديث يتطامه في صحيح مسلم ،

نجيب : على أى شىء يعيشون ؟

عارف : على الماء والتمر .

وقد روت السيدة سلمى - امرأة أبي رافع - رضى الله عنها أن الحسين بن علي ، وعبد الله بن جعفر . وعبد الله بن عباس - رضى الله عنهم - طلبوا منها أن تصنع لهم طعاماً ، كان النبي يحبها .

فقات لهم : يا بني . إذن لا تشتهونه اليوم .

فقامت وطحنت السمير ، وجعلت منه تخبز ، وتضع لهم الزيت فوقه . ثم وضعت لهم الفافل وقدمته لهم ، وقالت : كان النبي يحب هذا الطعام . رواه الطبري ،

يا أبنائي :

لقد كان النبي صلوات الله وسلامته عليه ينام على حصير فيؤثر على جنبه الشريف

فلما رآه عمر بن الخطاب بكى .

وقال : إن كسرى وقيصر يتأمان على الحوير .

فقال النبي الكريم :

هؤلاء أقوام يجعل الله لهم الدنيا .

و حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٦٠ ،

وكان النبي يبسط رداءه للضيف ، ويبش في وجهه .

نجيب : كل شيء في حياة النبي يؤكد صدقه .

عارف : لقد بدأ النبي دعوته ، وهو زوج لاغنى امرأة في

قريش .

فبذل ماله في سبيل دعوته .

ولما شرع الإسلام الزكاة ، والصدقة . وهما مصدران

واسعان للثروة .

نرى النبي ^{صلى الله عليه وسلم} يحرم أموال الزكاة والصدقة عليه وعلى

آل بيته .

روى البخاري عن أبي هريرة — رضى الله عنه — أن

الحسين بن علي — رضى الله عنهما — أخذ تمرًا من تمر الصدقة

وهو طفل - جملها في فيه - فقال النبي ﷺ له : (كخ كخ)
ليطرحها . ثم قال : د إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة . .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ وجد
تمررة فقال : لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لا كانها .
د متفق عليه ، (١)

نجيب : عليك السلام يا رسول الله .
جمعت غرم الإسلام وتمكاليك دعوته عليك وعلى آل
يبتك .

وجمعت غرم الإسلام لامتك .

عارف : صدقت وأوجزت يا نجيب .
لقد فتح الله كنوز الأرض للنبي ﷺ وجاءته الغنائم من
كل مكان .

ومع ذلك أصر النبي على عيشة الكفاف .

(١) كتب الدكتور يوسف القرضاوي بحثاً وافياً في هذا

الموضوع في كتابه « فقه الزكاة » ، ج ٢ ص ٧٢٨

مع أنه رئيس دولة وقائد أمة .

ودينه لا يحرم على الناس متاع الحياة للشريف .

لقد تحدث القرآن عن هذه الفضيلة بجلاء .

فمتدما رأى نساؤه أن كل بيوت المسلمين قد وسع الله عليها

وأصبحت ذات مطعم شهى وملبس كريم .

إشتاق نفوسهن إلى حظون من المتاع .

وكان مطالبهم عادلا .

ومن طبع النبي ﷺ أن يحترم بشرة الإنسان .

ومع ذلك وقف النبي من طلب نساؤه موقفاً شديداً .

واهتزل النبي نساؤه شهراً كاملاً .

ونزل القرآن يؤيد حزم النبي .

وخير نساء النبي بين البقاء في بيت النبي على حالهن وبين

الطلاق . قال تعالى :

يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا

وزينتها فتمالين أمتعن وأسرحنكن مراحاً جميلاً . وإن كنتن

تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم

وائل : وماذا إختار نساء النبي ؟

عارف : جميعهن إخترن الله ورسوله .
 نجيب : إن بعض نساء النبي كن بنات ملوك وأمراء وكن
 يمشن في دلال في بيوت آبائهن .

ولكن شرف جوارهن للنبي أعظم من كل متع الحياة .

عارف : لم يكن نساء النبي وخدمهن في هذا الشظف من
 المش .

لقد إمتد إلى بيت السيدة فاطمة الزهراء أيضاً .

لقد أدارت الرحي بيدها لطحن الشمير ، حتى أثرت
 الرحي على يدها .

وعندما سألت النبي خادماً يساعدها . قال لها : لا أعطيك
 وأدع فقراء المسلمين .

ثم ضمها النبي إلى صدره عندما رأها تدمع ، وقال لها : ألا
 أدلك على خير من ذلك ؟


سبحي الله ثلاثاً وثلاثين .

واحدى الله ثلاثاً وثلاثين .

وكبرى الله أربعاً وثلاثين .

فهذه مائة خير لك من الدنيا وما فيها .

وانت : من يبحث عن الجنس والمتعة يهد لها ويملا حياة
نفسه بالترف حتى ينعكس ذلك على دلالة وانضرة في وجهه .
واسكن همة النبي أعظم واهدافه من الزواج أكبر .
واسكننى أسأل :

هل كان نساء النبي  تحدث بينهن ما يحدث بين النساء
من العيرة ؟

عارف : تنافس نساء النبي على القرب من قلبه ، والقسابق
على الفوز برضاه أمر مشروع .

لان محارلة التقرب إلى قلب الزوج - النبي - ولاكتساب
مردته عمل عظيم . وهو السبب فيما بدأ منهن من غيره واسكن
النبي كان يعالج هذه الامور بحكمة بالغة .

إن قيادة الجيوش الكبيرة أهون من قيادة تسع ضرائر
يتنافسن على رجل عظيم .

لقد كان فيهن الزوجة المعجوز ، والشابة الفتية .
كان فيهن الأرملة الفقيرة ، ومنهن بنات الملوك .
ومع ذلك كان عدل النبي يشهر كل زوجة بأنها أقربهن إلى
قلب النبي ﷺ .

كان يعدل بينهن في العطاء ، وفي المبيت حتى في الابتسامه .
فلم تشعر الزوجة الفقيرة بأنه يكرم الأخرى لأنها بنت أمير
أو ملك .

ولم تشعر بنات الأمراء والعظماء أنه يفضلهن على الأراامل
الفقيرات .

حتى ميل القلب — الذي لا دخل للإنسان فيه . . . كان
النبي يعتذر لله عنه محاسبته لنفسه عليه .

لقد كانت هيبة النبي كبيرة في قلوب أصحابه .
حتى كان بعض الصحابة : لا يقوى على النظر للنبي من فرط
هيبته . وقد قال البصيري :

كأنه وهو فرد من جلالاته

في عسكر حين تلقاه وفي حشم

لذلك كان النبي يحاول أن يجعل من نفسه الزوج محمد ولا يجعل
نفسه في البيت الزوج النبي .

وذلك حتى تأخذ نساؤه حقهن .

فكان يسمح لمن بالمزاح والمداعبة فيما بينهم وهو يتسم .

تروى السيدة عائشة - رضي الله عنها - أنها أتت النبي

بمحريرة فيها طعام قد طبختها له ، وطابت من السيدة سودة

بنت وممة أن تأكل منها . فلما امتنعت قالت عائشة : إما أن

تأكلى وإما أن أطخ وجهك بالطعام .

فلما أصرت سودة على عدم الطعام طلت عائشة وجهه سودة

بالطعام .

فضحك النبي - ثم أخذ نطامة من الطعام وقال لسودة :

الطمي وجهها . وضحك النبي .

فلما سمعن صوت عمر قال النبي لها : افسلا وجهيكما .

قالت عائشة : فإزلت أهاب عمر طيبة النبي له .

رواه ابن عساکر ،

بمثل هذا الأسلوب استطاع النبي أن يجمع قلوبهم .

وكان يراعى متطلبات سن كل واحدة منهم .
وظروفها النفسية .

فيسابق عائشة - رضى الله عنها - في سفر فقسيبته . ثم
يسابقها فيسيبتها . فيقول لها : هذه بتلك . (رواه أحمد)

تدخل «ساجدة» زوجة الشيخ وتقدم بعض الفاكهة
وتطلب من الشيخ أن يخرج معهم إلى شاطئ النهر
ويجيب الشيخ طابها .

وائل : «يتسم ويقول» : شيء جميل أنك تلبى مشورة أم
هشام .

عارف : لقد كان النبي يستشير نساءه في الأمور الكبيرة .
فمنذ ما عزم النبي ﷺ على الرجوع من صلح الحديبية ،
ولم يدخل مكة ، ولم يعتمر ، أمر الناس أن يحملوا من الإحرام
فيحلقوا أو يقصروا . عند ذلك أخذ الغم قلوب المسلمين ،
لمدم آدابهم العمرة ، فجعلوا يقباطون في التنفيذ ، آملين أن
يسمح الله لهم بدخول البيت الحرام .

ودخل النبي على أم سلمة - زوجته - وقال لها :
ملك الناس ...

أمرتهم فلم يفعلوا .

قالت : أخرج أمامهم واحلق رأسك فلن يقباطوا .

فخرج النبي وحلق شعره . فسارع الجميع إلى الحلق .

نجيب : هذا تكريم عظيم للمرأة .

عارف : ليت نساءنا يدرسن عطاء الإسلام للمرأة .

الإسلام حررها من رق الجاهلية .

حررها من الواد .

حررها من قيود المجتمع الظالم ومن الجهل .

جعل تعليمها هو مجال انطلاقها نحو معرفة نفسها .

وكان النبي يجلس ليدرس لمن ، ويجيب على أسئلتهم .

عن أم سلمة - زوجة النبي ﷺ - أن أم سليم قالت :

يا رسول الله : لمن الله لا يستحي من الحق .

هل على المرأة من غسل ، إذا احتلمت ؟

قال : نعم . إذا رأت الماء .

- أي إذا رأت بعد اليقظة ما يؤكد احتلامها .

قالت - زوجة النبي - فضحكتم . وقلت : أتحتلم المرأة ؟

فقال النبي : نعم .

وعندما اقترحت امرأة على النبي أن يتخذ مشيراً ، وافق
النبي على ذلك . فتح الباري ج ١ ص ٤٤٩

وقد جعل النبي المسجد ميदानاً لتعليم النساء .
لذلك . . . نهى النبي الأمة عن منع النساء من المساجد .
قال - صلى الله عليه وسلم - لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن
تفلات ، رواه أبو داود .

تجيب : ما معنى تفلات ؟

عارف : أي غير متبرجات برينة .

ساجدة : لقد تم استعدادنا للخروج .

تخرج الأسرة في محبة وهناء ،

ومودة وصفاء .

الفصل الثالث

- قاتلوا أئمة الكفر .
- الإحصائيات أصدق .
- أين ذهب المغول .
- انتشار الإسلام من آخر .

مع جمال الريف ، وهوائه اللطيف جالس الشباب الكرام ،
ينعمون بحلو الكلام . ويطلبون من الشيخ إطالة المقام .
فإلى بستان نجيب في حياء ، يجمعنا الحب والوفاء .

وائل : عرفنا في لفائنا السابق عظمة النبي في بيته .
فهل يمكن يا فضيلة الشيخ أن تناقش مشروعية القتال في
الإسلام ؟

الشيخ : « مبتسما ، ماذا تعنى يا وائل ؟
وائل : والله يا فضيلة الشيخ لأننى الآن أو من باقى إيماناً
بلا حدود .

وأؤمن بنبوة محمد - ﷺ - وعن يمين .
وطهر الله قلبى من كل شئ قرأته المستشرقين .
سكنتنى أطالب المزيد من الحق .

الشيخ : أنت تعرف يا وائل أن النبى ﷺ جاهد كثيراً
بالحجة والبرهان ، ليؤتظ العقل البشرى .

وكان يهدف بذلك إلى تحرير الانسان من عبودية غير الله .
ولكن زعماء الشرك أفزعهم الأمر ، وخافوا على مناصبهم

ومصالحهم ، فرفقوا السيف في وجه النبي ، وحذبوا أبنائه ،
والجأؤهم إلى الهجرة ، وصادروا ديارهم وأموالهم .

ويروى . . . لم يكن في استطاعة النبي - ﷺ - سوى أن
يواسي أصحابه ويطأ بهم بالصبر ويبشرهم بالفرج .

هاجر النبي . . . وهاجر أصحابه . . . ووجدوا في المدينة تربة
خصبة وقلوباً صافية .

وانتشر الإسلام . .

وعلى كلمة الله . . .

ويروى أذن الله للمستضعفين أن يفتصروا .

قال تعالى: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . . . وإن الله على

نصرهم لقدير .

الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا :

والجح

ربنا الله .

فآية الكريمة وضحت سبب فرض القتال .

السبب الأول :

أن المسلمين مقاتلون من جهة أعدائهم طوال مدة إقامتهم بمكة .

ثانياً : أنهم ظلموا :

ومن حق المظلوم أن يدافع عن نفسه وينتصر لها .
ومن شيم أصحاب النفوس الكريمة ترفهم عن الاستكاثرة
والفدلة .

قال تعالى في وصف المؤمنين :

والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ..

وجزاء سيئة سيئة مثلاما .. فن عفوا وأصلح فأجره على الله .
لأنه لا يحب الظالمين .

ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما
السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ،
٣٩ إلى ٤٣ الشورى

فانتصار المظلوم لنفسه واجب وكرامة .

نجيب : والآية تشير أيضاً إلى العفو ، فن عفوا وأصلح
فأجره على الله .

الشيخ : العفو الذي تعنيه الآية هو عفو المنتصر الراجح
في الإصلاح ، وليس عفو المستضعف المستكين .

والانتصار للنفس والعبو عند المقدرة أمران لا يستطيعهما
المستضعف من الناس .

وعندما انتصر النبي على أهل مكة عفا عنهم عفو القادر .
وقد طالب القرآن من المسلمين أن يقاتلوا من أجل نصرة جماعة
من المسلمين يعيشون في مكة - تحت ظل سيوف الشرك -

قال تعالى : « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان - الذين يقولون ربنا أخرجنا من
هذه القرية الظالم أهلها . واجعل لنا من لدنك ولياً . واجعل لنا
من لدنك نصيراً » ٧٥ النساء

إنهم لا يملكون إلا الدماء .

فعلى الأمة أن تقاتل من أجل حمايتهم .

فالقتال هنا دفاع عن النفس . دعوى الله أن يكف بأس
الذين كفروا ، ٨٤ النساء

وكف بأس الكافرين هو الغاية من القتال .

• • •

السبب الثاني :

هو الدفاع عن الدعوة الاسلامية وحمايتها .
وهو سبب دائم في كل عصر . لدوام كيد اعداء الاسلام له
واقدم طالب الاسلام - يا رائل - من المسلمين أن يقاتلوا
أئمة الكفر - الذين ينتفمون - مادياً أو اجتماعياً - من الكفر .
قال تعالى : **وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم . وطعنوا
في دينكم . فقاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون ،**
١٢ التوبة

وقتل أئمة الكفر يهدف إلى تحطيم الحواجز التي وضعوها
أمام دعاة الحق .

فإذا تحطمت الحواجز ، ودخل الدعاة إلى الحق بلاد الكفر
والتحموا بالجاهل ، فإن الجاهل بعد ذلك للعقل فقط .

* * *

وقد دلت تجربة الهدنة - التي نص عليها صلح الحديبية بين
المدينة ومكة - أن الاسلام دين دعوة واقتناع .
لقد توقف القتال عامين فقط بسبب الصلح .

وحل خلالها جيش الدعوة والإقناع وكان جيش الدفاع والردع
فكانت النتيجة أن تضاعف عدد المسلمين خمس مرات في عام
— عن العدد الذي دخل الإسلام في تسعة عشر عاماً —
ظل لسنوات —

نجيب : زرجو توضيح هذه المسألة يا شيخ عارف .

الشيخ : لو استعمانا لغة الأرقام يتضح الأمر .

المدة من بدء الدعوة الإسلامية إلى أن تم صلح الحديبية
هي تسعة عشر عاماً .

ومع ذلك كان عدد المسلمين — الذين خرجوا مع النبي —

للعمرة - يوم صلح الحديبية - حوالي ألفين فقط .

بدأت الهدنة واستمرت عامين ، ثم نقضت قریش المعاهدة

فقام النبي - ﷺ - بفتح مكة .

وكان معه عشرة آلاف مقاتل .

معنى ذلك أن عدد المسلمين قد تضاعف خمس مرات

عامين . نتيجة لتوقف الحروب وعمل الدعوة .

نجيب : هذه المعادلة الحسابية تكفي وحدها لدفع شبهات

المستشرقين .

وائل : فلماذا انتشر الإسلام بالسيف .
الشيخ : أعجبنى - يا وائل - قول المرحوم عباس محمود
المقاد :

« لقد انتصر الإسلام على السيف ولم ينتصر بالسيف » .
شيهاء : ما الفرق بين انتصر بالسيف . . أو انتصر على
السيف ؟

الوالد : لا يا شيهاء . .

الفارق كبير . . فمعنى العبارة : أن الإسلام انتصر على
السيف التي رفعت في وجهه وحطمها .

لأن المهركين رفعوا سيوفهم ثلاثة عشر عاماً في وجهه
الإسلام قبل أن يشرع القتال .

وأنت يا وائل وقعت في خطأ وقع فيه كثير من الدارسين
للإسلام .

وائل : ما هو يا شيخ عارف ؟

الشيخ : يخاط كثير من الناس بين الفتوحات الإسلامية وبين
انتشار الإسلام .

مع أن الفارق كبير.

الفتوحات الإسلامية مسألة عسكرية .

سيف أمام سيف .

تستهدف تحطيم الحواجز ، وفتح الباب أمام الدعاة .

أما لإنتشار الإسلام فمسألة عقلية قلبية .

إذا نجح الجيش الإسلامي في تحطيم الحواجز فقد فتحت البلد

للمسلمين .

فيدخل الدعاة ، والتجار فيلبس أصحاب البلاد أنفسهم

ملاح دين جديد .

جديده في منهجه وسلوكه .

جديد في كفالاته حرية أصحاب البلاد .

جديد في تكافله الإجتماعي ، وإحترام الفقير .

حرم الربا ، وسوى بين الناس ، بل أعطى للأقليات الدينية

التي تعيش في وعايته من الحقوق أكثر مما أعطى للمسلمين -

وائل : اعتقد أنك تقصد : مثل ما أعطى للمسلمين .

الشيخ : لا يا وائل .

لقد قرأت لأحد المستشرقين هذه الشهادة .

واستدل عليها باستدلال قوى .

فقال : إن الإسلام حرم على المسلمين ملكية الخمر والخنزير

بينما أباح لأهل الكتاب ملكية الخمر والخنزير .

فقد أعطاهم حق ملكية الخمر والخنزير بينما حرمهما على

المسلمين . فن قتل خنزيراً لنصران ، وجب عليه التعويض

لعاده .

ومن سفك خمرآ ، أو قتل خنزيراً للمسلم لا يجب عليه

تعويض .

لقد رأى اصحاب البلاد أنفسهم أمام صـورة الإسـلام

صحيفة ومباحته .

وقد تزوج المسلمون من نساء اصحاب البلاد - الكتابيات -

يرغمهن على ترك دينهن ، بل كفلوا لهن حرية العقيدة ،

ممارسة العبادة ، وراعوا حقوق النسب - مع إختلاف الدين -

بحرموهن ود أهلن من غير المسلمين .

واتل : إن سلوك المسلمين العملي أغناهم عن الخطب للطويلة

والقصائد الرائعة لأن دلالة الفعل أقوى بكثير من دلالة
الكلمات .

الشيخ : لقد إنتشر الإسلام — يا وائل — في كثير من
البلاد التي لم يفتحها جيش المسلمين .

يقول الأستاذ سامي محمود في كتاب إنتشار الإسلام
ص ٨١ :

وقد نجح المسلمون في أوروبا في الدعوة إلى الإسلام وانتشر
عدد من مفكري الإسلام في دول مختلفة من أوروبا وكانت
دعوتهم تأتي عن طريق الفكر والمنطق والمجادلات العلمية .

وقد نجح عدد من جنود الإسلام المجهولين في الدعوة
للإسلام . . . وكانوا هم أنفسهم القدوة الحسنة للإسلام .
كما إنتقلت ملامح الإسلام إلى أوروبا عن طريق الأفراد
والجماعات الذين عاشوا في أسبانيا تحت ظل الحكم الإسلامي .

ويقول سيادته أيضاً

والمسلمون في بلجيكا من أقوى العناصر وأشدهم إيماناً وعملاً
على حماية المسلمين المغتربين في أوروبا .

يا وائل : . . لقد انتشر الاسلام عن طريق التجار
الصادقين ، وانتشر عن طريق مخالطة المسلمين مع غيرهم من
أهل البلاد .

بينما فتحت بعض البلاد عسكرياً ، وحكمها المسلمون قروناً
طويلة ، وخرجوا منها وبقي أهلها على دينهم .

لم يرغمهم المسلمون على ترك دينهم .

فتلاً . . بلاد الأندلس ، فتحها المسلمون ، وبقيت تحت
حكم المسلمين قرابة ثمانمائة سنة ، وخرج المسلمون منها ، وبقي
أهلها على النصرانية .

فبلاد انتشر فيها الإسلام ولم تفتح عسكرياً .

وببلاد فتحت عسكرياً ولم ينتشر فيها الإسلام (١)

(١) يقول د دوزي ، عن آثار فتح المسلمين الأندلس : كان
الفتح العربي من بعض الوجوه نعمة على إسبانيا ، فقد أحدث
فيها ثورة اجتماعية هامة ، ونهض على كثير مما كانت البلاد ثمانية
منذ قرون ، وتحطمت سيطرة الأشراف ، والطبقات المعتازة ،

ثم كان الفتح عاملاً في تحسين أحوال الطبقة المستعبدة ، إذ كان
الإسلام أكثر تفضيلاً لتحرير الرقيق من النصراني .

ويقول الأستاذ (لاين بول) :

« أنشأ العرب حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة العصور
الوسطى ، بينما كانت أوروبا تتخبط في ظلمات الجهل ، فلم يكن
سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية »

أما المؤرخ الأمريكي سكوت ، فيقول :

« وكان يسمح للورع المنتصب أن يزاول شعائره دون تدخل
والأخبار يزاولون شئونهم في سلام . أما أقوال كتاب النصراني
التي ينسبون فيها للعرب أذع المذابح ، فهي محض افتراء ومبالغة ،
راجع « دولة الإسلام في الأندلس للأستاذ محمد عنان »
صفحة ٦٣ وما بعدها .

وهذا يؤكد أن الفتح الاسلامى شىء،
وانتشار الإسلام شىء آخر .

وقد ذكر صاحب قصة الحضارة، ج ١٤ ص ٢٦٣ :
بعض العوامل التى ساعدت على انتشار الاسلام فى البلاد
التي فتحها .

يقول المؤلف عن سماحة الاسلام مع رجال الدين المسيحي
وأتباعهم :

« إن البطارقة ظلوا على كراسيهم بأنطاكية وبيت المقدس
والاسكندرية ، وذلك بفضل سماحة المسلمين .
ويقول : غير أن المسلمين كانوا أكل من المسيحيين —
أصحاب البلاد .

فقد كان المسلمون أحفظ عهداً وأكثر رحمة بالمغلوبين ،
وقلما ارتكبوا - فى تاريخهم - من الوحشية ما ارتكبه المسيحيون
عندما استولوا على بيت المقدس عام ٩ - ١١ ميلاديه (١)

(١) قصة الحضارة ج ٣ ص ٢٨٠

أما عن نظام القضاء الاسلامي في البلاد المفتوحة فيقول :
وقد ظل القانون المسيحي يستخدم طريقة « التحكيم الإلهي »
بالتار أو بالماء ،

بينما كانت الشريعة الاسلامية تضع طائفة من المبادئ القانونية
الواقية ، يقوم بتطبيقها قضاة مستقرون من المسلمين (١)

وائل : ما معنى طريقة التحكيم الإلهي ؟

الشيخ : كانوا يلقون المتهم - مكتوفاً - في الماء أو في النار
فإذا غرق أو احترق قالوا إنه ظالم .

وإذا نجا .. قالوا : إنه مظلوم .

ولكن الاسلام - عندما فتح هذه البلاد - حكم القواعد
القانونية الثابتة (٢) العادلة في الحكم بين الناس .

« قصة الحضارة الأستاذ ول ديورانت ص ٢٨٣ ج ١٣ »

(١) المرجع السابق ج ١٣ ص ٢٨٣ .

(٢) ملامح القضاء الاسلامي :

١ - نصب القضاة وجعلهم سلطة مستقلة عن الحاكم العام =

٢ - أنشأ - بجوار القضاء - ولاية دفع المظالم - د عمر
وأصول السياسة ص ٣٤٦

٣ - جعل القضاء سلطه فوق الأمراء - يراقبهم ويحتكمون
إليه - بل حتى الخليفة إذا تحققت القضية ضده فمن سلطه
القضاء أن يحكم عليه . د الدولة القانونية للأستاذ الدكتور منير
البياتي ص ٤٠٤

٤ - وضع دستوراً للقضاء . وتعتبر رسالة عمر بن الخطاب إلى
أبي موسى الأشعري هي دستور القضاء الاسلامي د ابن خلدون في
المقدمة ص ٢٢٥

٥ - نظم الاسلام جهازاً قضائياً لمراقبة القضاء نفسه - فجعل
من حق هذه السلطة أن تنقض أحكام القضاة إذا جاءت مخالفة
للكتاب والسنة والقضاء في الاسلام للدكتور سلام مذكور ص ٢٢
وقد ذكر الأستاذ الدكتور منير البياتي ضمانات نزاهة القضاء
الاسلامي في كتابه ص ٤٢١ وحصرها في نقاط ، أوجزها لك .
استقلال القضاء وأسس اختيار القاضى والقواعد القانونية
الثابتة وحماية الماضى من العزل - إلا لسبب شرعى .
د الدولة القانونية للدكتور منير البياتي

نجيب : الآن عرفنا الفارق بين الفتوحات الاسلامية وبين
انتشار الاسلام .

وعرفنا العوامل التي ساعدت على سرعة انتشار الاسلام ،
سواء منها ما يتعلق بالدعوة الاسلامية ، وما يتعلق بأخلاق
المسلمين .

الشيخ : يا نجيب : إن شيئاً واحداً يمكن ان يزد به
على المستشرقين .

نجيب : ما هو يا فضيلة الشيخ ؟

نعرف أن مكة حاربت الاسلام .

أما المدينة فقد فتحت أبوابها أمامه .

فهل يمكن أن يقال : إن الاسلام انتشر بالسيف على
أهل المدينة ؟

نجيب : لا لقد ساروا إلى الدعوة بمجرد أن أدركوا
عظمتها .

ولكن . . لماذا شاء الله - سبحانه - أن يجعل من

أهل مكة من عمادى الاسلام ، وهم أقرب الناس للنبي وعزه
يرفع ذكرهم ؟

الشيخ : يا نجيب استتممت إلى تامل لطيف للشيخ محمد
متولى الشواوى قال فيه :

و لو كان أهل مكة هم أجمع الناس إيماناً . . . لقال خصوم
الاسلام : إن العصية لمحمد - ~~صلى الله عليه وسلم~~ - هي التي خلقت
الإيمان بمحمد .

ولكن عداة أهل مكة له ، ومناصرة أهل المدينة جعلت
الكل يقول : إن الإيمان بمحمد - ~~صلى الله عليه وسلم~~ - هو الذي خلق العصية
لمحمد - ~~صلى الله عليه وسلم~~ -

نجيب : الله - الله - الله .

هذا كلام عظيم . . .

وائل : يا فضيلة للشيخ .

نجيب : انتظر يا وائل . . . فنحن في البستان . . . فلا بد
أن نأكل الفاكهة أولاً . . . ثم استمتع بحديث الشيخ .
الشيخ : وددت لو أعددت لنا الشاي على الفحم ، فإنه

أطيب ، واسكن . . ابن هشام ؟

نجيب : هشام يجلس على النهر بصفاة بعض السمك .

وجلس الجميع يأكلون الفواكه هاتين
في بهجة وفرح وسرور ومرح وعاد الشيخ
إلى الشباب في سؤال وجواب .

الشيخ : يا وائل : أي قوة في الأرض الآن تفرض على
المسلمين أن يتمسكوا بدينهم ؟

وائل : لا قوة سوى حب المسلمين الاسلام .

الشيخ : الأعجب من هذا :

أن الصليبيين الذين أغاروا على بلاد الاسلام اعتنق بعضهم
الاسلام ، وبعضهم انسحب من المعركة ، بعد أن اقتنع بمقام
الدواع التي جاء يحارب من أجلها .

وقد تمت ملاحم الاسلام في نفوسهم فنقلوها إلى بلادهم ،
فظهرت فمكرة الإصلاح الديني ، على يد « مارتين لوتر » في
أوربا . (١)

(١) انتشار الاسلام للأستاذ سامي محمود

حضر هدام يحمل مجموعة من السمك بينما استقبله والده بابتسامة وطلب إشعال النار ليطهى السمك ، وتناول الطعام .

الشيخ : هل دوست يا وائل غزو للقتار لبلاد الاسلام ؟
وائل : لقد دروا الحضارة وخرّبوا كل شيء ، وأحرقوا الكتب ، وأسقطوا الخلافة في بغداد .

الشيخ : يؤيدك في هذا ما قاله صاحب كتاب « قصة الحضارة » فقد قال :

ولسنا نعرف أن حضارة من الحضارات - في التاريخ كله - عانت من التدمير الفجائي ما عانتها الحضارة الاسلاميه على يد المغول .
« قصة الحضارة » ج ١٢ - ص ٧٨٠ ،

ومع ذلك فإن الاسلام كان أقوى منهم .
كان أقوى منهم عندما هزمهم عسكرياً في معركة « عين جالوت » .

وكان أقوى منهم عندما صابغهم بصبغته ، وهداهم إلى اتباعه واعتناق عقيدته .

وائل : « متمجياً ، المغول دخلوا الاسلام ١٤

الشيخ : اقرأ يا وائل ما كتبه الأستاذ سامي محمود :

« لقد استطاع المغول - الذين دخلوا الاسلام - أن يجبروا أمراء روسيا على أن يدفعوا الجزية لهم ، ويقسموا بين الطاعة للمسلمين .

« استطاع « تيمورلنك » ، فيما بعد أن يوطد دعائم الحكم الإسلامي في جنوب روسيا ، وآسيا الوسطى ، وحوض بحر القزوين .

« وأصبحت سمرقند (في القرن الخامس عشر ميلاديا) عاصمة لامبراطورية إسلامية ضخمة .
« انتشار الاسلام - محمود سامي ،

يا وائل .. كان الإسلام أقوى من كل شيء حتى من المغول - الذين لا يعرف العالم شراً منهم - لقد صهرهم الاسلام .

وجعلهم جنوداً لخدمته .

وائل : لقد عاجلت بحديثك كل شيء في قلبي .

ولا أنسى لك أنك أرشدتني إلى الله .

وأثبت براءة أمي عن التي عشت حياتي أحقده عليها (١) .

فإلى اللقاء لمن كان في العمر بقية .

صافح وانزل الشيخ، والدمع
بلا عينيه بينما استعد الشيخ
لمغادرة الريف، سردها شباب
القرية .

• • •

(١) القصة بتامها في كتاب ، هذه عقيدتك يا ولدي ،
، اللقاء الأخير ،

أهم المراجع

القرآن الكريم

تفسير الفخر الرازي ، والقرطبي ، وابن كثير .

عمدة القاري لفرح صحيح البخاري (الميضي) .

حاشية ابن عابدين ، طبقات ابن سعد ، أسد الغابة في معرفة

الصحابة .

حياة الصحابة ، المعارف لابن قتيبة ، نهاية الأرب في فنون

الأدب .

كتب حديثة

فقه السيرة للأستاذ محمد الفزالي .

حقائق الإسلام وأباطيل خصومه . للمقاد .

الدولة القانونية للدكتور منير البياتي .

إلى اللقاء مع الشيخ عارف

في الجزء الثاني من كتاب

هذا نبيك يا وادي